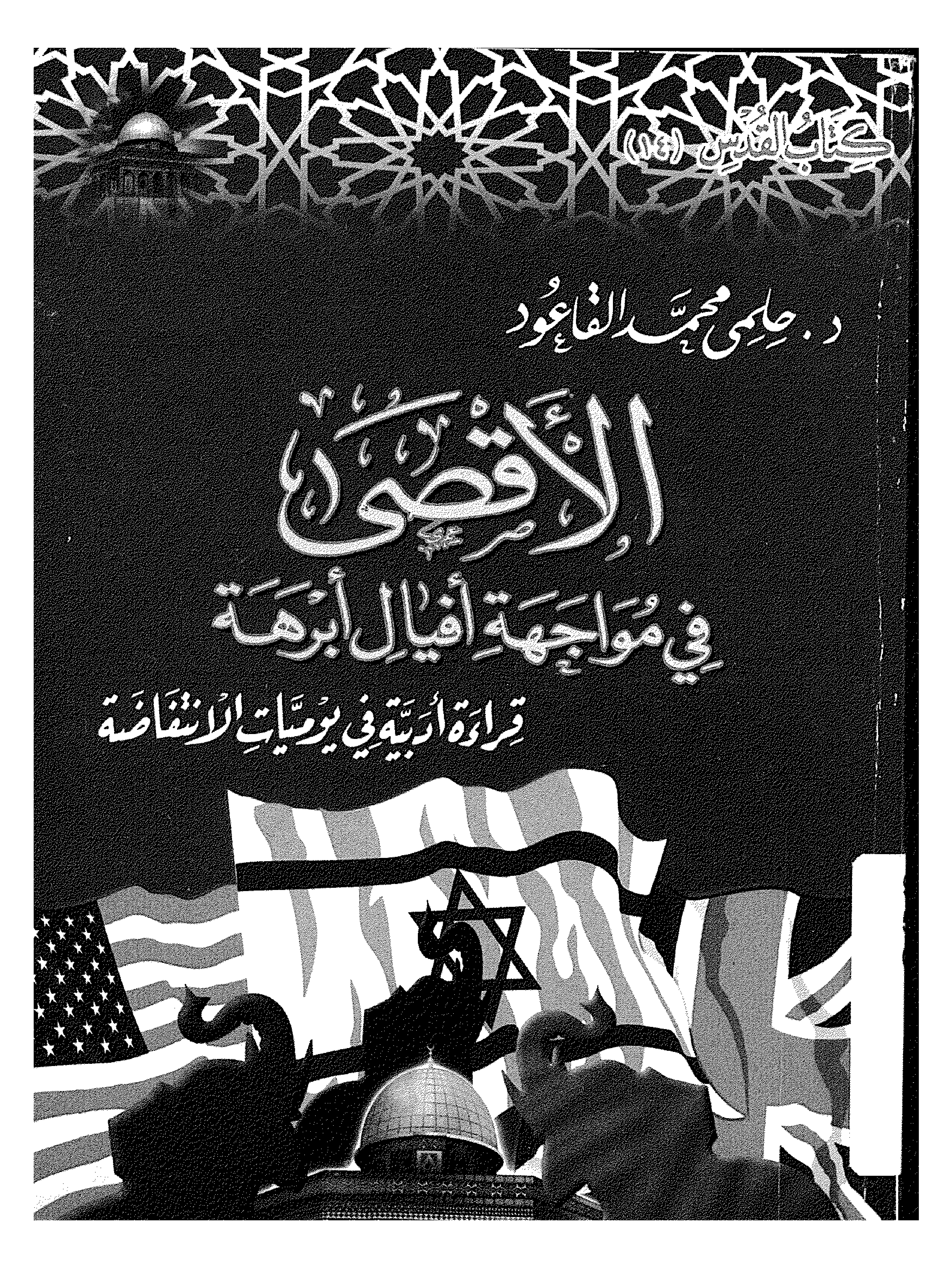


كتاب القدس (١٤)
د. حلمي محمد القاعود
الأقصى
في مواجهة أفيال أبرهة
قراءة أدبية في يوميات الانتفاضة

د. حلمي محمد القاعود

الأقصى

في مواجهة أفيال أبرهة

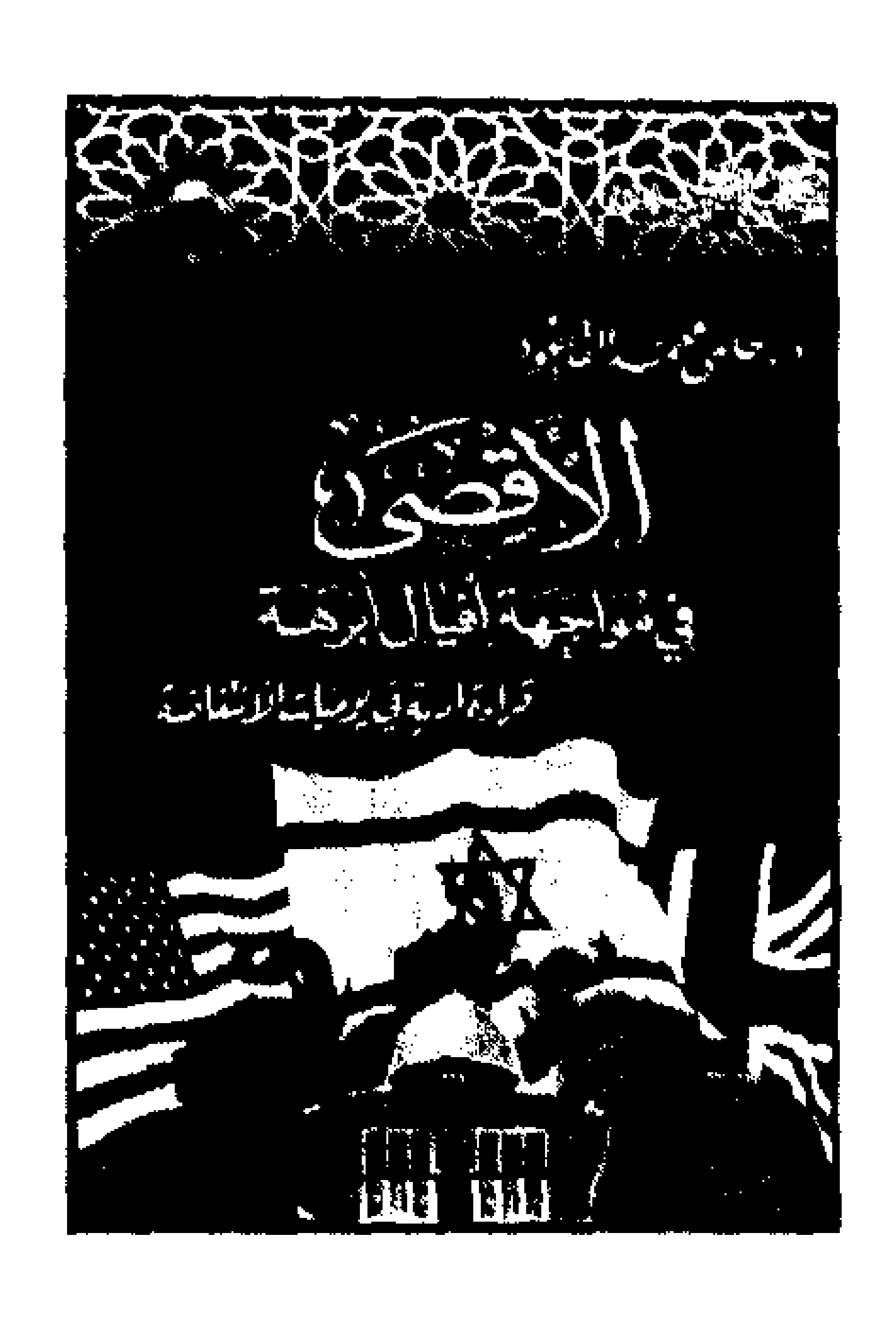
قراءة أدبية في يوميات الانتفاضة



سلسلة كتاب
القدس (14)

• الكتاب: الأقصى
في مواجهة أفيال أبرهة
• المؤلف: د. حلمي محمد القاعود
• السلسلة: كتاب القدس
• قياس الصفحة: ١٤×٢٠
• رقم الإيداع: ٨٢٠٨ / ٢٠٠٢
• الترقيم الدولي: ٩-٨٦-٥٢٧٤-٩٧٧

مركز الإعلام العربي
ص. ب ٩٣ الهرم - الجيزة - مصر
• هاتف: ٣٨٣٣٣٦١ / ٠٠٢٠٢
• فاكس: ٣٨٥١٧٥١ / ٠٠٢٠٢
• الموقع على شبكة الإنترنت:
Home Page:www.Resalah4u.com.
• البريد الإليكتروني:
E .Mail:media-c@ie-eg.com



تصميم الغلاف:
إيهاب عبد الله

• الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٢٣هـ
أغسطس ٢٠٠٢م



بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

نحمد الله ونستعينه، ونصلى ونسلم على خير أنبيائه، قدوتنا فى الجهاد والثقة فى نصرة الله والصبر على الشدة والاختبار، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم الفائز بالنصر والفتح، فسبح بحمد ربه واستغفره إنه كان توابا، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ..

فعندما قامت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧م، واستمرت خمس سنوات تقريبًا، سعدت الأمة بيقظة الأجيال الفلسطينية الجديدة التى أخذت زمام المبادرة بيدها معتمدة على الله، واثقة فى عونه ودعمه، واستطاعت بفضل الله تعالى أن تهز الكيان النازى اليهودى

على أرض فلسطين، وتجعل الإرهابى الهالك "إسحق رابين" يتمنى لو أن غزة غرقت فى البحر، وتدفعه إلى الخروج بقواته من معظم أراضيها، وكان يمكن أن يخرج من جميع أراضيها وأراضى الضفة الغربية، لولا المباحثات السرية المهينة التى تمت فى "أوسلو" وانتهت بتوقيع اتفاقات تقضى بوقف الانتفاضة وعودة منظمة التحرير الفلسطينية إلى الأرض المحتلة دون تحديد واضح للموقف من انتهاء الاحتلال "زمانًا ومكانًا" ومستقبل الشعب الفلسطينى فى المهاجر والمنافى، ومصير المدينة المقدسة. . . وتحولت المنظمة إلى مجرد "خفير" يملك هراوة يحرس بها المحتلين الغزاة، ويقمع شعبه الفلسطينى، ويحول بينه وبين التعبير عن ذاته ومقاومة النازى اليهودى الغاصب.

كان لا بد بعد مرور سنوات - تقترب من العشر دون أن يظهر ضوء فى نهاية النفق - أن ينفجر الشعب الفلسطينى مرة أخرى، وتكون شرارة الانفجار والانتفاضة فى آخر رجب ١٤٢٠هـ-٢٨-٩-٢٠٠٠م عندما قام المجرم النازى اليهودى "إرييل شارون" بتدنيس المسجد الأقصى المبارك، ودخوله إلى ساحته فى حراسة ثلاثة آلاف جندى صهيونى، متحديًا مشاعر الأمة الإسلامية كلها، وضاربًا عُرض الحائط بكل القيم والمواثيق والأعراف. . . وكانت حركة الشعب الفلسطينى الأعزل ضد القتلة اليهود تعبيرًا طبيعيًا عن فطرة الحرية، التى تسكن الإنسان الفلسطينى المظلوم والأسير. . وقد تجاوبت شعوب الأمة العربية والإسلامية من إندونيسيا إلى المغرب مع هذا الإنسان وذلك الشعب. . وعبرت عن ذلك فى مساعدات

ومظاهرات ورغبة عارمة فى القتال إلى جانبه، ولكن حِيل بين الأمة وبين رغبتها لأسباب يعلمها الناس جميعًا.

وللأسف فإن ما جرى مع الانتفاضة الأولى يجرى الآن مع الانتفاضة الجديدة، ويحاول بعض المتفعين إنقاذ الكيان النازى اليهودى الغاصب، على حساب حقوق الشعب الفلسطينى ومصيره باسم "الواقعية" تارة، وباسم "موازين القوى" تارة أخرى، وباسم "البراجماتية" تارة ثالثة... إلخ.

ولا أظن الشعب الفلسطينى - مع كل الظروف الصعبة القاسية المحيطة به - سيستجيب لمحاولات المتفعين والمخدوعين والأفاقين، وسيستمر فى انتفاضته المباركة حتى يتحرر المسجد الأقصى بإذن الله تعالى.

إن هذا الكتاب محاولة متواضعة لمتابعة الانتفاضة فى مسيرتها الظافرة - إن شاء الله - وقد استطاعت أن تشدّ العالم واهتمامه بها، وأن تهز الكيان النازى اليهودى الغاصب من جذوره، وأن تعيد مرة أخرى - مع الفارق فى موازين القوى - التساؤل حول شرعية وجود هذا الكيان القائم على الإجرام والدم والظلم.

إن هذه المحاولة المتواضعة، تعتمد على مناقشة ما يجرى على الساحة الفلسطينية، من خلال تحليل يعالج الوقائع، ويطرح التصور الإسلامى فى مواجهة الوحشية النازية اليهودية التى فاقت وحشيتها ما قامت به النازية الصليبية فى ألمانيا وغيرها.

ويضم الكتاب حصاد عام تقريبًا من الوقائع والأحداث (عام

٢٠٠١م) ويتأكد من خلاله أن الشهادة هى الحل، وهى الطريق لتحرير الأرض والمقدسات فى فلسطين، وأن الصمت والرضوخ والرضا بالوعود الاستعمارية الدولية والجلوس على موائد المفاوضات العقيمة.. هو قبول بضياع الأرض والعرض، وتسليم للعدو بما يريد ويحب.

إن الشعب الفلسطينى البطل يستحق من كل صاحب ضمير حى المساندة والمؤازرة، بعد أن تكشفت طبيعة الغزاة المجرمين، وداعميهم من الطغاة المستعمرين.

تحية للأبطال والشهداء من شعبنا الفلسطينى الأبى..

وتحية لمن يسيرون على خطا "القسام" و"الحسينى" و"طوقان".

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

حلمى محمد القاعود

المجد: ٢٧ من ذى القعدة ١٤٢٢هـ

١٠ من شباط/ فبراير ٢٠٠٢م

مرحباً بالمارد

فى روايته الجميلة "أحمد وداود" للكاتب فتحى غانم "ظلموه حين جعلوه يساريًا وعضواً فى التنظيم الطليعى" يرحمه الله، تظهر شخصية "المارد" وهو قاتل يهودى محترف من الجيل الأول الذى أسس الكيان اليهودى الاستعمارى فى فلسطين، ويقول المارد لرجل الصليب الأحمر النرويجى "هانز" الذى كان يرجوه أن يسمح له بالتدخل لإسعاف الجرحى من الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ :

"كفى حذراً. . ليس لدينا وقت نضيّعه فى هذه الأمور. . لقد حسمنا الأمر برصاصة. . ومن الممكن أن ننهى المناقشة معك برصاصة أخرى" ص ١٢٨ "ط دار الهلال ١٩٨٩". كان المارد مع الإرهابى "بن جوريون" يوم خطب فى الهستدروت "نقابة العمال اليهود" بتل أبيب يرفض الإرهاب والعنف، وهو يعلم جيدًا ماذا كان يعنى بن جوريون فى مواجهة احتجاجات العالم على القتل والذبح ضد الفلسطينيين إنه يعتمد على النسيان، مع الاستمرار من جديد فى عمليات الإبادة للعرب ومن يؤيدونهم.

ما كتبه "فتحى غانم"، وما جرى قبل ١٩٤٨، هو ذاته الذى يتكرر اليوم، ويعيد نفسه فى صورة أخرى، ولكن بعض العرب والمسلمين يصرون على التجاهل والاعتقاد فى أن هناك بين القتلة اليهود من هو سيئ، ومن هو أسوأ، ويفاضل بينهما لذا اندفعت سلطة الحكم الإدارى الذاتى المحدود فى الضفة والقطاع لتطالب عرب

١٩٤٨ بالتصويت فى الانتخابات اليهودية لصالح السفاح باراك، دون السفاح شارون، لأن الأول من وجهة نظر السلطة، أو بارونات السلطة بمعنى أدق، هو السيئ، أما الآخر فهو الأسوأ، مع أن تاريخ القاتلين "المحترفين" لا مجال فيه للمفاضلة أو المفاصلة، ولن ينفذ أحدهما اتفاقًا لا ترضى عنه مؤسسة القتل اليهودية المسمّاة بجيش الدفاع، فهذه المؤسسة التى تتكون أو تكونت على مدى نصف قرن من جماعات الأرجون والهاجاناة والشتيرن وغيرها هى التى تحكم الكيان اليهودى الاستعمارى، وهى التى تقررّ متى تنسحب من أرضى محتلة أولا . . وبقدر المقاومة التى تواجهها أو الخسائر التى تتحملها تضع أسس الاتفاق الذى يقرّه من يجلس على كرسى السلطان فى الكيان اليهودى الاستعمارى، ومن ثمّ، فإن السيدّ باراك لا يختلف عن السيد شارون، إلاّ فى اللغة المراوغة، أو الكلام المعسول فى مقابل الكلام المغسول، وما عدا ذلك فكلاهما يأتمر بأمر مؤسسة القتل اليهودية أو جيش الدفاع . . ولا أدرى لماذا لا يعترف بذلك بارونات السلطة الفلسطينية وحكام العرب والمسلمين؟

إن الإرهابى اليهودى "إفيدورليبرمان" عضو الكنيست الذى هدد بهدم السد العالى وضرب إيران ودمشق لم يكن يعبّر عن رأيه الخاص، ولم يكن أيضًا يمزح، ولكنه يترجم فكر مؤسسة القتل اليهودية التى لا تؤمن إلاّ بالقوة، وتجلياتها التدميرية على أى وجه كانت.

إن "شارون" هو المارد اليهودى الذى يعرف ما يعنيه "بن جوريون" حين يرفض الإرهاب والعنف، و"باراك" هو المارد الذى

يحفظ ما يحفظه شارون عن فلسفة "بن جوريون"، وكل يهودى: طفلاً كان أو امرأة أو رجلاً، هو مارد، يعرف جيداً أن رصاصة واحدة تسكت الطرف الآخر إلى الأبد، والزمن كفيل أن يُنس العرب والعالم كلّ شيء.. وقد قال "بن جوريون" فى الأوراق التى يلخصها "محمد حسنين هيكل" لمجلة "الكتب وجهات نظر": صفحتان سوداوان فى التاريخ، لا تعنيان شيئاً أمام قيام الدولة العبرية وانتصارها.. إنه لا يهمه التاريخ ولا الرأى العام ولا الأخلاق.. ما يعنيه هو القوة والبقاء على جثث العرب والمسلمين.. وكذلك يفعل تلاميذه النجباء الذين فاوضوا والذين لم يفاوضوا.. الذين وقعوا اتفاقيات والذين لم يوقعوا.. القوة هى الفلسفة، وهى العقيدة، وهى المستقبل عن مؤسسة القتل اليهودية المسماة بجيش الدفاع والحاكمة للكيان اليهودى الاستعمارى..

فى حديثه "ليديعوت أحرونوت" قال شارون: "لا أعرف ما إذا كان المسّ بالقادة أسلوبا جيداً أم لا" ثم تحدث عن أسر ٤٠ أسيراً سورياً، و٤٥ أسيرًا مصريًا فى "صابحة" "و٢٩ أسيرًا فى الكونتيلا، وقال عنه فى هاآرتس "زيف شئيف" المعلق اليهودى المعروف: إنه رجل الخطيئة والغرور، وما قاله "زيف شئيف" ينطبق على المارد شارون والمارد باراك، وكل المردة اليهود؛ لأنهم يسعون إلى قتل العرب والمسلمين فى فلسطين وغيرها إذا استطاعوا..

إن وصول "شارون" إلى الحكم لا يعنى لى أو لآخرين غيرى فى فلسطين وخارجها شيئًا غير مألوف فهو لا يختلف - كما قلت - إلا

فى "اللغة المغسولة" التى تظهر على طبيعتها، ولا تحتاج إلى أصباغ أو تزويق، وهذا أمر جيد جداً بالنسبة لنا نحن العرب والمسلمين، وخاصة على مستوى البارونات والحكومات؛ لأنه يكشف ورقة التوت التى يتسترون بها أمام شعوبهم، ثم إنه يدفع الشعوب العربية المظلومة إلى التحرك للإيمان بالمقاومة أو الجهاد سبيلاً وحيداً لطرد الغزاة وتحرير المقدسات، وتقصير أمد الصراع.

مرحبًا بالمارد الذى سيحرّك الأمة الإسلامية مرة أخرى، كما حرّكها يوم دنّست قدماه أرض الأقصى أول رجب الماضى "٢٨ من سبتمبر ٢٠٠٠"، فخرجت المظاهرات المليونية بدءاً من إندونيسيا البعيدة حتى الدار البيضاء البعيدة، وهذه المرّة ستتأكد الأمة الإسلامية أن تسليح الشعب الفلسطينى ضرورة قصوى كى يؤلم القتلة الغزاة، ويرغمهم على الرحيل عن الأرض المقدسة، إن الصمت من حولهم يشجعهم على البقاء والاستعمار، ولكن الحركة الجهادية هى التى تدفع مؤسسة القتل إلى الهروب كما هربت من جنون لبنان، دون مفاوضات أو اتفاقات أو تنسيق أمنى أو قواعد إنذار.. ومرحبًا بالمارد.

المسك يتيه دلالاً

فى المشهد العربى الإسلامى العام، تومض أحيانا بعض البروق مبشرة بالأمل فى نهوض هذه الأمة، وقدرتها على الفعل مثل الآخرين، وتؤكد أنها لن تظل أبدا ظاهرة صوتية فقط، تعتمد على رد الفعل، والندب والنواح.. صحيح أن ومضة البرق هذه المرة جاءت من إيران حيث استطاعت الصناعات العسكرية الإيرانية إنتاج طائرة صغيرة نسبيا بالاشتراك مع الخبرة "الأوكرانية"، وشهدت مدينة "أصفهان" حفلا لتدشين أول طائرة من الإنتاج الإيرانى حضره رئيس وزراء أوكرانيا مع المسئولين الإيرانيين.

وصحيح أيضا أن ومضة برق أخرى جاءت من باكستان، حيث قامت مصانعها العسكرية لأول مرة بتصدير ما قيمته ثلاثون مليون دولار من رشاشات وبنادق ومدافع وذخائر من إنتاج باكستانى خالص، وصحيح كذلك أن عرب فلسطين المحتلة ١٩٤٨، قد صفعوا لأول مرة سفاحا يهوديا اسمه "إيهود باراك" صفعة مدوية، أثبتت وجودهم وقدرتهم على الفعل ومعاقبة المجرمين، فيما يعد ومضة برق مبشرة ومؤثرة، وصحيح - بصفة عامة - أن شعوب الأمة العربية الإسلامية، قد أخذت على عاتقها تفسير ما يجرى ويحدث من حولها بنفسها، ولا تستمع إلا لصوتها الداخلى، لا الصوت المخادع من بعض مسئوليها، ولا الصوت الصليبى الاستعمارى الماكر الذى يأتيها عبر الدعاية الاستعمارية الحولاء..

إن الذين ماتت ضمائرهم، وانحلت عزائمهم أصابهم الهلع والرعب، يوم جاء "شارون" أو "الملك داود" كما يشبهه بعض القتلة فى الكيان اليهودى الاستعمارى فى فلسطين، ولكنهم لم يدركوا بعد أن الشعب الفلسطينى، ومثله الأمة العربية الإسلامية، لا يسعى إلى الحياة الذليلة ولا يرتضيها، مهما بلغت التضحيات، ومهما ازداد عدد الشهداء والجرحى والمصابين، فالحياة الكريمة العزيزة هى الهدف والغاية، ومجىء "شارون" هو ومضة برق بالأمل، لتعيد الأمة سيرتها الأولى فى الجهاد والبحث عن الشهادة وتلقين القتلة، وعلى رأسهم الملك "شارون"، درسًا لن ينسوه، كما لم ينس الصليبيون القدامى درس صلاح الدين.

إن بناء القوة الذاتية، وقوة الإرادة، وحب الشهادة، هى عناصر الانتصار على قوى الشر اليهودى الصليبى فى فلسطين المحتلة وغيرها.. أما تهنئة "الملك شارون" بوصوله إلى سدة الحكم فى دولة العدوان اليهودى، وخطب وده، ومناشدته التفاوض من النقطة التى انتهت إليها المفاوضات مع السفاح السابق "إيهود باراك"، فلن تجدى فتيلا، ولن تجعله يغير من "لاءاته" التى تعبر عن انتصاراته وانتصارات العصابات التى ينتمى إليها، بدءا من "لا" القدس حتى "لا" غور الأردن مرورا بـ"لا" العودة والتعويض. إن أول قذيفة هاون فلسطينية انطلقت فى الأسابيع الماضية على يد الشعب الفلسطينى، وسقطت على قوات العدو اليهودى فى "نتساريم"، كانت الرد العملى والوحيد الذى يفهمه هذا العدو، ويقتنع به، دون

المفاوضات العبثية الطويلة، والبيانات الإنشائية الماسخة، والاتفاقات الورقية التى لا تنفذ، ولا يقام لها وزن..

ثم إنها كانت ومضة برق أخرى تبشر برغبة شعبنا الفلسطينى فى تسليح نفسه، ومواجهة العدو الشرس، والإصرار على الشهادة من أجل تحرير القدس وفلسطين، وقيادة شعوب العرب والمسلمين إلى الحرية والاستقلال، واستعادة مجد الحضارة الإسلامية بين العالمين

إن الملك "شارون" يتيه على العرب والمسلمين دلالا، بتاريخ مذابحه وإرهابه بدءا من عصر الهاجاناه، مرورًا بقتل الأسرى المصريين، وقتل الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا، وقتل اللبنانيين فى جنوب لبنان، ومفاخرته بتدنيس الحرم القدسى الشريف، وتهديده بتدمير السد العالى وضرب إيران ودمشق وبيروت، ثم يجد ظهيره الصليبى الاستعمارى فى واشنطن يعلن أنه لا يلتزم بما يسمى مبادرة "كلينتون"، الرئيس الأمريكى السابق، وأكبر صديق لليهود على مدى وجودهم الاستعمارى فى فلسطين.

وبعدئذ نجد حكومات العرب والمسلمين، تلوذ بالصمت غير الجميل، أو تصدر بيانات باهتة لا طعم لها ولا لون ولا رائحة، من قبيل الحرص على السلام وخياره "الاستراتيجى"، والاستقرار فى المنطقة، ورجاء العودة إلى المفاوضات بين سلطة الحكم الإدارى الذاتى المحدود، والعدو اليهودى الاستعمارى فى فلسطين.

كنت أتصور - على الأقل - أن ترد السلطة المحدودة، أو

حكومة عربية، أو زعيم ممن يؤمنون بالتفاوض مع العدو اليهودى فى فلسطين - على الدلال "الشارونى" والدعم الصليبى له، بتصريح يقول فيه مثلا: إننا لن نتفاوض إلا على أساس قرارى الأمم المتحدة ١٨١ الخاص بالتقسيم، ١٩٤ الخاص بحق العودة والتعويض معًا، وإن هذا هو الحد الأدنى لمطالب العرب والفلسطينيين، فضلا عن ضرورة انسحاب القوات اليهودية من المناطق التى تحكمها السلطة المحدودة، ورفع الحصار عن الشعب الفلسطينى، ووقف القتل اليومى لأفراده وقياداته الشعبية. ولكن هذا لم يحدث أبدًا والتزم الجميع الهلع الذليل، إلا من رحم الله.

لقد كشف انتخاب "الملك" شارون عن طبيعة اليهود بصورة أوضح ما تكون. لقد توحدوا خلف فلسفة القوة، وعبروا عنها من خلال صندوق الانتخابات.. وأضافوا تأكيدا للأحداث التى جرت منذ الانتفاضة أن اليهود جميعا فى سلة واحدة، استثناؤها يثبت القاعدة، وهى العدوانية الهمجية اليهودية، التى لا يختلف عليها أحد هناك فى الوطن السليب، حتى ما يسمى جماعة السلام «الآن» اليهودية، أقرت السفاح "باراك" على نازيته اليهودية، ولم تقبل حق العودة، وشجعت على تملك حائط البراق أو ما يسمى حائط المبكى.

كان المأمول من سادتنا أو بارونات السلطة المحدودة وقادة العرب والمسلمين، أن يغضبوا لله بعد أن تبين الخيط الأسود من الخيط

الأبيض، وأن القتلة اليهود صرحاء فى دمويتهم أو غامضين، لا فرق بينهم، ولا تفريق.. وأن مواجهتهم لا تتم بالمفاوضات والبيانات وترك الشعب الفلسطينى يموت جوعًا أو بالرصاص، ولكنها تتم بشىء واحد فقط اسمه: الجهاد.

روبرت فيسك.. نحن نحترمك

روبرت فيسك كاتب بريطانى محترم، ونحن نحترمه ونقدره؛ لأنه يقف مع الحق العربى الإسلامى فى فلسطين كما يقف مع الشعوب العربية الإسلامية ضد جلاديها ومستبديها وطغاتها، وهو نموذج فريد أو نادر فى الوسط الغربى الاستعمارى المعادى للشعوب والإنسانية، وهو وسط - مع ضجيج الدعاية حول ديمقراطيته وإنسانيته - لا يتعاطف إلا مع مصالحه وأهدافه، التى تبدو فى الغالب قائمة على نهب الشعوب واستغلالها وتمزيقها وتمكين الطغاة والمغامرين من رقابها.

لذا، فإن روبرت فيسك، محل انتقاد وتحامل من القوى الغربية واليهودية المعادية لإنسانية الآخر غير الغربى وغير اليهودى، خاصة العربى والمسلم، كما أنه محل انتقاد وتحامل من صحافة الطغاة والمستبدين فى العالم العربى والإسلامى، وقد شن عليه بعض الكتاب العرب من خدام الطغيان والاستبداد حملات قاسية مغرضة، ووصفوه بأوصاف بذيئة، مع أنه الصوت الغربى الذى يكاد يعزف عزفا منفردا لصالح القضية الفلسطينية بصورة مستمرة، ويكشف إجرام العدو اليهودى ضد شعبنا الفلسطينى، ويفضح الممارسات الصهيونية القمعية والإرهابية ضد المدنيين العزل فى الضفة والقطاع وداخل أرض ١٩٤٨ المحتلة.

لقد عاصر روبرت فيسك أحداثا عربية عديدة على مدى السنوات

الماضية، وشارك فى تغطية الحرب الأهلية فى لبنان، وكان وراء كشف الغموض فى العديد من القضايا الملتبسة، واقترب من الفلسطينيين والقضية الفلسطينية، وشرح أبعادها فى وسط غربى لا يستريح إلى الحقائق فى هذه القضية، أو يسعى إلى التعتيم عليها، ومحوها من الذاكرة الغربية تماما، وفيسك، بهذا الموقف، يمثل داعما متطوعا لأهم قضية تعنى العرب والمسلمين، فى صحف مهمة تصدر فى لندن وجنوب أفريقيا. . وللأسف فإن بعض العرب لا يعنيهم ما يكتبه فيسك عن القضية الفلسطينية، بقدر ما يعنيهم ما يكتبه عن حكامهم، فإذا كان ما يكتبه ورديا - وهو أمر شبه غائب - رحبوا به. أما إذا كان ما يكتبه غير وردى، أو غير ودى، فإنهم يرفعون راية الجهاد ضده عبر الأقلام المأجورة التى تكتب حسب الطلب ولمن يدفع، وفى أى وقت، وأى عصر

لا أعرف روبرت فيسك شخصيا، ولكنى عرفت كتاباته ومقالاته التى كانت فى مجملها موضوعية وإيجابية، وتشى بموقف باحث، مستعد للحوار والفهم وتقدير المنطق والدليل، وكنت أتمنى أن تحرص القوى السياسية غير الحكومية على دعم الرجل ومؤازرته بعد أن خذلته الحكومات العربية، خاصة أنه منحاز إلى الحق العربى الإسلامى، ولكن يبدو أن كثرة همومنا وأحزاننا جعلتنا ننسى من يقفون معنا، ويساندون حقنا، وينافحون عنا، فى الوقت الذى يعلمون فيه أن العدو اليهودى يستقطب الكثير من الصحفيين والإعلاميين إلى جانبه بالترغيب والترهيب. . من لم تنجح معه

الرشوة أو الإغـراء، يلاحقه الإرهاب والتخـويف والضغط والعنف، وقد كتب روبرت فـيسك مؤخرا مقالا فى الاندبدنت يكشف فـيه ما حاولته جماعات الضغط اليهودية الاستعمارية ضده، ونشرته الأهرام متـرجما بعنوان: «شـوهوا صورتى؛ لأننى أقول حـقيقة مـا يحدث للفلسطينيين».

إن روبرت فيسك يملك وعـيا حادا بالأساليب اليهـودية العدوانية لمطاردة من يخالفونهم أو يكشفون إجـرامهم وخداعهم، وخاصة فى الغـرب، وهم على استـعـداد لتلفيق التـهم الكاذبة لمن يجـرؤ على انتقادهم دون أن يهتـز لهم جفن، لقد اتهموا فيـسك مثلا بأنه يساند المؤرخ الإنجليزى (دافـيد أرفينج) الـذى فضح أكذوبة الهـولوكوست اليهودية مع أن فيسك لم يلتق أبدا بهذا المؤرخ، ولا يعرفه ولا يرغب - كما يقول - فى مقابلته.

إن السفراء الـيهود وجماعـات الضغط اليهودية، يقـومون بزيارات داهمة ومكثفـة غير مسبوقة لمـكاتب الصحف الأوروبية للشكوى من تقارير هذه الصحف ومن صحفييها، ويستخدمون أحيانا أسلوبا مشينا وغير مهـذب للتعبير عن عدم رضائهم، ويتســاءل فيسك : إذا فعل السفراء العـرب فى أوروبا - وأنصار جماعات الضغط العـربية - ما يفعله سفراء الدولة اليهودية فى أوروبا.. هل كنا نسمح لهم بذلك، وهل نحترمهم أم أننا سنجرى لننشر جانبا واحدا من جوانب القصة؟ ماذا كنا سنفعل بحق الجحيم؟

لقد تنبه روبرت فيسك فى بداية انتـفاضة الأقصى إلى لغة الدعاية

الغـربية فى تغطيـة ما يجـرى على أرض فلسطين المحتلة، وكـشف أسـاليب الخداع الرخـيصـة التى تحمـلها هذه اللغـة، حيث حـولت الضحية إلى جان، وحولت الجانـى إلى ضحية. إن الحديث مثلا عن المصادمات فى الأرض المحتلة يعنى المواجهـة بين قوتين متكافئتين أو تملكان أسلحة مـتقاربة، ولكن الذى يجرى هو شـعب أعزل يتظاهر ضـد قـوات الاحتـلال التى تواجـهـه بقـذائف الدبابات وصـواريخ الطائرات ورصاص المدافع، وكلها موجـهة إلى السائرين فى الطرقات والقابعين فى منازلهم والنائمين فى سررهم.

إن أجهزة الدعـاية والصحف فى الغرب، التى خضـعت لليهود، قلبت الحقائق، وحولت الشعب الأسيـر إلى مجرم يستحق الإعدام، أمـا جيش الاحـتلال الذى يفـتح النار على الآمنين، فـهو ضـحيـة للأطفال الذين يقـذفون الحجـارة، والفلسطينيون هم الذين يدفـعون أبناءهم أو أطفـالهم ليواجهـوا رصاص المحـتلين.. وهكذا يتم قلب الحقائق، وتشويه صورة المظلومين، وتجميل منظر الظالمين اليهود.

إن روبرت فيـسك يعبر عن الضمـير الإنسانى الحى، الذى يتـمرد على الضمير الصليبى الميت، ويتـحمل فى سبيل ذلك معاناة المطاردة اليهـودية، وملاحقة جـماعات الضـغط، ويضاف إلى هذا ما تكتـبه الأقـلام المأجورة فى العـالم العـربى.. ولولا أن الرجل يملك إرادة قوية لتهـاوى أمام الترهيب اليهودى.. وهو مـا يدفعنى إلى أن أقول له: نحن نحترمك يا روبرت ونقدرك.

أربعاء عليل.. لا يشفى الغليل

أدخلنى "فيروس" الأنفلونزا اللعينة دائرة الغيبوبة بعد أن تمكن من جسدى الواهن الضعيف، صرت لا أفارق الفراش ليلاً أو نهاراً، وفقدت طعم النوم ومذاق الحياة حتى كان صباح الأربعاء (١٤-٢-٢٠٠٢)، حاولت أن أصل الراديو بالكهرباء لأستمع إلى إذاعة القرآن الكريم، وما كاد الراديو ينطق حتى دبت فىّ الحياة، كانت مذيعة عربية فى إذاعة العدو تتكلم عن سائق الباص (الأتوبيس) الذى دهس على مفرق (حولون) - جنوب تل أبيب - ثمانية من قتلة العدو، قضى عليهم وأصاب نحو عشرين من القتلة الآخرين بينهم ثلاث (مجندات) حالتهن خطرة.

كانت المذيعة تتحدث عن الضحايا (الأبرياء)، فى الوقت الذى كانت فيه طائرات سلاح الجو اليهودى تقتل حارساً لرئيس السلطة المحدودة برتبة "مقدم" فى سيارته، وكانت قوات العدوّ تقصف المدنيين فى أكثر من مدينة فلسطينية بالصواريخ والدبابات والرشاشات، كما قتلت هذه القوات "رقيب أول" فى البحرية الفلسطينية، كان يمضى آمنا إلى بيته.

كنت أتطوح وأتمزّق نتيجة الوهن والسعال، ولكن سائق الباص أيقظ حواسى الغائبة، وأعاد إلىّ الروح التى غابت بفعل المرض، والعجز القومى، وهزيمة المسلمين، فقد أثبت "علاء خليل أبو علبة" فى بساطة شديدة أن الإنسان الفلسطينى البسيط قادر بفضل الله على أن يبتكر من الأساليب والوسائل ما يجعل حياة العدو اليهودى الغاصب مكلفة

وصعبة، وتحتمل مثل الآخرين "تشييع الجنازات الجماعية".

كان الملك إرييل شارون، يزداد دلالاً وتمتّعا بلاءاته الثمانى، وكان بعض القوم فى بلاد المسلمين يموتون ذعرًا وهلعًا وهوانًا من هذه اللاءات، ويتمنون لو كان السفاح الأول "باراك" قد ظل فى سدّة الحكم اليهودى، ليحفظ بعض الماء فى وجوههم - هل كان فيها ماء أصلاً؟! - وليريحهم من هذا الأرق المستمر المسمى بقضية الأقصى والقدس واللاجئين والمستعمرات و.... ولكن الشعب الفلسطينى المقهور أثبت للملك وللميتين ذعرًا وهلعًا وهوانًا، أنه الأقدر على صنع الأحداث واستخلاص الحقوق وفرض "ردّ الفعل" على الطرف الآخر" وما كان المواطن الفلسطينى "علاء خليل أبو علبة" منظمًا فى قوة "فتح" ولا "حماس" ولا "الجهاد" ولا "الجبهة الديمقراطية" ولا "فدا" ولا.. ولا.. إنه مواطن ينتمى إلى خمسة أطفال هم عائلته الجائعة منذ بدأت انتفاضة الأقصى وتعطّله عن العمل قرابة أربعة أشهر.

وقد عاد إلى عمله منذ ثلاثة أيام فقط، كان اليوم الثالث فيها هو الذى هزّ الكيان اليهودى الاستعمارى وبث فيه الذعر والهلع والهوان، وجعل العصابات العسكرية اليهودية الاستعمارية تفقد صوابها، وتفرض المزيد من إجراءات القمع والتجويع والحصار على الشعب الفلسطينى الأسير.

والمفارقات حول الحادث طريفة - وربما غير طريفة - فقد سارع البعض إلى الاستنكار والتنديد بقتل المدنيين الأبرياء (هل كانوا مدنيين وأبرياء؟) وهل يوجد مدنيون أصلا فى كيان استعمارى إرهابى؟ أما زعيم الصليبية الدولية - أقصد رئيس الولايات المتحدة ج.و. بوش، فقد استنكر وندّد،

وقدم أحرّ التعازى لأسر القتلى وللحكومة اليهودية الاستعمارية، وطالب الفلسطينيين بوقف العنف، وكان وزير خارجيته "كولن باول" مشغولاً بكيفية إرغام العراق على احترام قرارات الأمم المتحدة وتنفيذها، وتوجيه المزيد من الضربات العسكرية إليه إن لزم الأمر، أما فلسطين واحتلالها وقرارات الأمم المتحدة بشأنها، فمسألة غير ذات أهمية لدى معاليه، بل إنه أشار إلى أن الإدارة الأمريكية ليست مشغولة بما يسمى عملية السلام فى الشرق الأوسط، وأنها تفضل أن تسميها إجراءات أو مفاوضات أو شيئًا من هذا القبيل الذى يعبر عن هامشية الموضوع.

"علاء خليل أبو علبة" كان أكثر وعيًا من "كولن باول" بعملية السلام فى الشرق الأوسط، حين جعل الدموع فى العيون الوقحة تجرى مثلما جرت أنهارًا فى عيون الفلسطينيين على مدى نصف قرن أو يزيد، ولو أن الأشاوس والنشامى من المناضلين والمفاوضين والصارخين، تركوا المجال "لعلاء خليل أبو علبة" وأمثاله منذ زمان لتحققت للأمة نتائج باهرة، ولما بيعت دماء الشهداء بثمن بخس فى أوسلو وكامب ديفيد وطابا وغيرها.

كتب "جدعون ليفى" فى "هاآرتس" (نقلاً عن أهرام ٩-٢-٢٠٠١) "سائق التاكسى إسماعيل التلبانى قتل فى الأسبوع الماضى بجانب نتساريم، عندما قام الجنود بإطلاق النار عليه فى صدره؛ لأنه اقترب مسافة قريبة من قافلة المستوطنين. صابرين بلوط ولدت فى الأسبوع الماضى فى سيارة التاكسى عندما كان والداها يتوسلان للجنود ليتركوهم يمرون متوجهين إلى المستشفى. والدة الطفلة الوليدة أجبرت على الخروج من السيارة والطفلة ما زالت مربوطة بها من خلال الحبل السرّى، والجنود يتضاحكون.

الجنود والمستوطنون وحرس الحدود قاموا أيضاً بالتنكيل بسائق السيارة نعمات مناصرة ومسافريه الذين يحملهم ومعهم العجوز سبعين حولا الذين تلقى بصقاتهم بينما كان السائق يتلقى الضربات. الجنود جاءوا إلى بيت يوسف فى منتصف الليل، وأمروه بالخروج منه مستولين عليه حيث تحوّل بعد أيام إلى موقع أمامى للجيش، وظل متسولاً بلا مأوى إلى أن وجد مكانًا مؤقتًا لدى أقاربه فى هندوراس، ومن هناك يواصل دفع فواتير الكهرباء التى يستخدمها الجنود الذين يقطنون فى بيته.

من قرية خاراس قام المواطنون اليائسون فى الأسبوع الماضى بالاتصال هاتفيا: الجنود اقتحموا القرية وألقوا القنابل الغازية والصوتية داخل البيوت والأطفال يموتون هلعًا وذعرًا. . . . "

هذه بعض المشاهد الاعتيادية اليومية التى يمارسها اليهود القتلة بقلم واحد منهم، ومع ذلك نجد بيننا متحدثين عن ثقافة السلام، ومن يستبسل حتى الموت فى الإصرار على استراتيجية خيار السلام، ومن يخوفنا بالقنابل اليهودية النووية والولايات المتحدة الصليبية. . ولكن "علاء خليل أبو علبة" قلب الموازين، وأكد أن الخيار الوحيد والناجع هو خيار الإسلام المسمى بالجهاد، ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم﴾[الحج: ٧٨].

يا أهل القمة

اسمحوا لى يا حضرات الملوك والرؤساء والأمراء العرب، أن أتوجه إليكم بالحديث، وأنتم تستعدون لحضور مؤتمر القمة العربى فى عمان بعد أسابيع، حيث دخلت انتفاضة الأقصى المبارك شهرها السادس تقريبًا، وكان حصادها نحو أربعمائة شهيد، وأكثر من عشرين ألف جريح، فضلا عن حصار يهودى إجرامى كامل لكل المدن والقرى الفلسطينية وإغلاق شبه تام للمعابر والمنافذ والموانئ والمطار، بهدف تجويع الشعب الفلسطينى وقتله، مع قصف يومى بالدبابات والصواريخ والمدفعية وطائرات الهليوكوبتر للمبانى والبيوت والشعب الأعزل.

يواكب ما يحدث للشعب الفلسطينى قصف وحشى تقوم به الحكومة الصليبية الاستعمارية فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا للشعب العراقى دون سبب معروف أو مسوغ معقول، وحملة دعائية صليبية تتهم الصين بمساعدة إيران والعراق وسوريا فى تصنيع أسلحة متطورة، مع أن الصين نفت ذلك مرارًا وتكرارًا.

وأول زيارة يقوم بها الجنرال "كولن باول" - وزير الخارجية الأمريكى - للدول العربية والكيان اليهودى الاستعمارى فى فلسطين، هدفها المعلن هو إقناع هذه الدول بتدمير العراق وتحريضها ضده بحجة أنه يمثل خطرًا على وجودها، خاصة فى الخليج.

الواقع - يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - يؤكد أن العالم الصليبى الاستعمارى يسعى حثيثا لتمزيقكم وتحريض بعضكم ضد

البعض، ومنع أى تقارب فيما بينكم، مع التمكين لقاعدته العسكرية الصليبية الاستعمارية فى فلسطين، ومساعدتها على فرض هيمنتها عليكم، وجعلها القوة الأولى فى المنطقة العربية عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا. . وبعد ذلك وقبله نزح ثرواتكم المعدنية والاقتصادية، واستنزاف كل دولار تدخرونه أو يدخل إلى جيوبكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. . الواقع يؤكد ذلك والتاريخ أيضا، منذ وضع الصليبيون المستعمرون أقدامهم على الأرض الإسلامية فى أول غزوة صليبية استعمارية بدأت عام ١٠٩٥ وقادها بطرس الخافى والهمج الهامج فى أوروبا.

إن قتل الشعب الفلسطينى والشعب العراقى ونهب الثروات العربية الإسلامية، يفرضان عليكم أصحاب الجلالة والفخامة والسمو موقفًا حازمًا يعيد "الاعتبار" لوجودكم ومكانتكم وهيبتكم بين أمم الأرض ودولها، هذا الموقف الحازم الذى نريده ليس شن الحرب ضد الولايات المتحدة وبريطانيا والكيان اليهودى الاستعمارى، فنحن نعلم أنكم غير قادرين على هذا، ولا تريدونه، ولا تسعون إليه حتى لو بدا فى كلمات بعضكم الحماسية والنارية، التى نعلم أنها للاستهلاك المحلى لا أكثر. .

والموقف الحازم الذى نريده ليس قطع العلاقات السياسية والدبلوماسية مع دول العدوان الصليبى اليهودى، فهذا أمر فوق طاقاتكم وقدراتكم، ونعلم مدى الارتباط الوثيق الذى يشد الكثيرين منكم إلى عواصم العدوان الصليبى اليهودى، ويمنعهم من التصريح بل من التلميح بقطع العلاقات. . والموقف الحازم الذى نريده ليس الخروج على الشرعية الصليبية الدولية ممثلة فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن

(الأمريكى)، فنحن نعلم أن هذه الشرعية تمثل الحبل السرى الذى يربط الكثير من الحكومات العربية والإسلامية بالأمم الأمريكية التى تمنح وتمنع، وتعطى وتحرم. .

ولكننا نطلب موقفًا حازمًا يمثل "أضعف الإيمان" الذى ورد فى حديث الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو عدم تأييد السلوك العدوانى الصليبى اليهودى ضد شعوبنا المسلمة عامة والشعبين الفلسطينى والعراقى خاصة

إن موقفكم - يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - فى مؤتمر القاهرة (أكتوبر ٢٠٠٠)، المتمثل فى عقد القمة العربية الدورية، كان موقفًا إيجابيًا، سجله الناس لكم، بعد أن عجزتم عن عقد قمة - مجرد عقد - لمدة عشر سنوات تقريبا، حيث كان تفسيرهم هو أن أمريكا الصليبية الاستعمارية هى التى تمنعكم من التلاقى، وتفرض عليكم الفرقة والحرقة.

وانعقاد قمة القاهرة انتصار معنوى فى حد ذاته على الاستعمار الصليبى اليهودى المعاصر يحسب لكم، ويؤكد هذا الانتصار انعقاد قمة "عمان" بعد أسابيع، ثم إن ما تمخض عن قمة القاهرة، وبعدها قمة المؤتمر الإسلامى فى الدوحة، من إغلاق المكاتب الدبلوماسية والاقتصادية لليهود فى المغرب وتونس وعمان والدوحة، وسحب السفير المصرى من تل أبيب، ووقف سفر السفير الأردنى إلى تل أبيب. . هذا مع ضآلته، يمثل نجاحًا رمزيًا يؤكد قدرتكم على الفعل، وعلى إشعار العدو اليهودى وظهيره الصليبى بأنكم تستطيعون أن توجهوا إليه رسائل مؤلمة وإن لم تكن موجعة بالقدر المطلوب.

لقد رصدتم دعما اقتصاديا للشعب الفلسطينى المحاصر الجائع الذى يواجه القتل يوميا بالآلة العسكرية اليهودية الاستعمارية، وتمثل هذا الدعم فى صندوقين أحدهما لدعم القدس، والآخر لدعم الشعب، ولكن ما وصل إلى فلسطين من هذا الدعم كان ضئيلا، ولا يمثل "عُشر" ما تم الاتفاق عليه، وقيل إن البيروقراطية هى التى عطلت أو تعطل صرف المبالغ المرصودة بينما الشعب الفلسطينى يموت تحت الحصار والبطالة، ووقف الحركة الاقتصادية بصورة شبه كاملة.

والسؤال هو: ما معنى أن تقف البيروقراطية حائلا دون دعم الشعب الفلسطينى الأسير؟ ولماذا لا يتم دفع المستحقات المفترضة مباشرة؟

نحن نأكل وننام ونتدفأ ونجلس أمام الشاشة الصغيرة، دون أن يهددنا قصف صاروخى أو جوى، فكيف لنا أن نهنأ بكل ذلك بينما الشعب الجائع الأسير يتهدده الموت والعذاب فى كل لحظة تمر به أو يمر بها؟ إذا كنتم لا تثقون فى السلطة الفلسطينية أو باروناتها بسبب فسادهم وأطماعهم ومصالحهم الخاصة، فيمكنكم تقديم المساعدات إلى "مفتى القدس" الشيخ "عكرمة صبرى"، والناس هنا وهناك يجمعون - ولا نزكى على الله أحدا على نزاهته وعفته.

أيضا يمكن لهيئة الأوقاف الفلسطينية فى القدس أن تتولى توزيع المساعدات وإقامة المشروعات التى تكفل الرزق الطيب لأبناء الشعب المجاهد الصابر. . إن توصيل الدعم لأهل فلسطين مطلب عاجل وملح يجب أن يسبق اجتماعكم فى عمان.

الخوافى والقوادم يا أهل القمة

أرجو أن تسمحوا لى يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو، أن أذكركم قبل الحديث معكم عن شعب فلسطين والقدس والانتفاضة المباركة، بتقرير منظمة العفو الدولية الذى نشرت ملخصه جريدة "الوفد" فى ١-٣-٢٠٠١، الذى يؤكد على أن الدول العربية ومعها الكيان اليهودى الاستعمارى، قد احتلت قائمة الصدارة فى شراء أو استيراد أحدث الآلات وأجهزة التعذيب ذات التكنولوجيا المتطورة، وتشمل العصى والبنادق الكهربية ذات الذبذبات التى تسمح باستخدام أجهزة تحكم إلكترونية، كما تشمل ملابس خاصة للمساجين تسبب الآلام، ويتم من خلالها تعذيبهم عن بُعد بوساطة التحكم الإلكترونى، بالإضافة إلى أدوات متطورة لقطع الأظفار وتقييد الأيدى بصورة مؤلمة. وتشير منظمة العفو الدولية إلى أن استيراد أدوات التعذيب يتم تحت دعوى مواجهة الشغب والسيطرة على الأوضاع الأمنية. وتقوم بعملية تصدير هذه الأدوات مائة وخمسون شركة، كلها من دول الغرب، وقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بتصدير ما قيمته ٩٧ مليون دولار من أدوات التعذيب فى العام الماضى وحده.

هذا التقرير يؤكد على أن الإنسان العربى المسلم هو مجال أدوات التعذيب التكنولوجية سواء فى البلاد العربية أو تحت الاحتلال اليهودى، فاليهود لا يعذبون اليهود بأحدث ما وصلت إليه

التكنولوجيا، ولا تغص سجونهم بعشرات الألوف من السجناء اليهود الذين لا يحاكمون ولا يفرج عنهم بعد انقضاء مدة الحكم، كما لا يحدث لديهم شغب أو ثورة جماهير؛ لأنهم يعرفون طرق الاحتجاج المشروعة، والشرطة تقوم بحمايتهم فى مظاهراتهم وإضراباتهم.

والسؤال الآن - يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - لماذا أجمعتم (معظمكم طبعا) واليهود على تعذيب معارضيكم بأحدث ما عرفته التكنولوجيا، دون أن تستدعوا التكنولوجيا إلى مجالات البناء والتعمير والإدارة والصناعة والزراعة والتعليم؟ لماذا تستدعون التكنولوجيا فى الشر ولا تستدعونها فى الخير؟

وهل يمكن لشعوبكم، وقد فقدت كرامتها بالتعذيب التكنولوجى أن تقف فى مواجهة اليهود الغزاة، وتنازلهم فى الميدان؟ وهل يمكن بعدئذ أن تفكر دول الإرهاب الصليبى أن تضعكم فى حسبانها وأنتم تقدمون لهم مجانا خدمة جليلة بسحق شعوبكم بمنتجاتهم التكنولوجية؟ إن من لا يعتمد على عائلته أو قبيلته لا تعبأ به العائلات أو القبائل الأخرى؟ فما بالكم بالدول والشعوب؟

إنى أنتهز فرصة حضوركم القمة - يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - لأهنئ شعبنا الشقيق فى البحرين وأميره على التفاهم والحوار وإطلاق السجناء وعودة المنفيين، وبناء حياة نيابية حرة يشارك فيها الجميع، ولعل ما جرى فى البحرين يجرى فى بقية بلاد العرب التى ما زالت تفضل تكنولوجيا التعذيب على تكنولوجيا التعمير.. وليس ذلك على الله ببعيد.

وأذكر بيتا للبـارودى قاله ضمن قصيدة وجههـا للخديو توفيق قبل انتهاء القرن التاسع عشر بعقدين من الزمان تقريبا، أى قبل قرن وربع القرن من أيامنا. يقول البيت:

ولا تجعل الشـورى عليك غضـاضة

فـــالخـــوافـى قـــوة لـلقـــوادم

كان فى مصر أيامها مجلس نيابى سبقت به العديد من دول الشرق والغرب، وكان البارودى يستشعر قيمة المشاركة الشعبية بلغة عصرنا، وكان يدرك أهمية أن تتـضافر الجهود، مهما كانت مـحدودة، لتحقق القوة على المسـتويات المختلفة، ولكن الأمور سـارت بمنطق آخر أدى إلي عـذابـات وآلام، نعـانى آثارها حـتى اليـوم. ولو أن رغـبـة "البارودى" تحققت، وسارت الحياة المصرية والعربية والإسلامية وفقا لهذه الرغبة، لـكان للأمة كلها شأن أى شأن في الاقتـصاد والتجارة والصناعة والزراعة، فضلا عن السياسة والحضارة.

الاستعماريون لا يجدون غضاضة فى الشورى، مع اختلاف مصالحهم وتعارض رغـباتهم، يحـققـونها داخل بلدانهم، وفى اتحـادهم الأوروبى وأحلافـهم العسكرية، ولا يخجلـون من إعلان عدم اتفـاقهم فى بعض القضـايا، ولا يدلسون على أنفسهـم بكلمات نفاقيـة من قبيل "موافـقة إجماعية" و"تطابق وجهات النظر" و"تأييد كامل" و"اتفاق شامل".

الشـورى = المشاركـة = الديمـقـراطية = الحـوار السلمى = عـدم الانقـلابات = عدم التـعذيب بالتـكنولوجيـا أو بالأدوات البدائيـة = الانتصار = التقدم = الاستقلال = الحرية.. فلماذا تغيب الشورى فى

حياتنا العربية الإسلامية، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو؟

تمنيت لو أن مؤتمر قمة عمان القادم يتخذ قرارا واحدا بسيطا يعود به قادتهم إلى بلادهم دون جدل أو نقاش صاخب، وهو تحقيق المشاركة بين الشعوب والقادة، ومع أن الأمر يبدو عديم الصلة المباشرة بين القمة والانتفاضة، أو بين القمة وشارون، أو بين القمة وأمريكا أو بين القمة والخليج والعراق، إلا أننى أعتقد أن قرار المشاركة بين الشعوب والقادة، سيضع أسسا سليمة للتعامل مع هذه الموضوعات جميعا، وسيخلق من الأمة كيانا آخر يحقق الوحدة الاقتصادية والسياسية ويجعل لها وجودا حقيقيا فى عيون الدول الاستعمارية الصليبية والكيان اليهودى الاستعمارى.

ثم إن القادة سيكون لهم شأن أكبر مع قادة الاستعمار واليهود، وسيحذر هؤلاء من الاستهانة بهم، أو تجاوزهم، أو استنزافهم.

ليتنا - يا حضرات أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - نتعلم من عدونا اليهودى الاستعمارى وزعماؤه يتناوبون السلطة، ويشكلون الحكومة، ويناقشون قضاياهم وواقعهم.. كان أمرا طبيعيا أن يودع المنصرف من عملوا معه، ويتمنى للقادم من بعده حظا أفضل.. وكان من الممكن لهذا المنصرف أن يكون مرءوسا للزعيم الجديد؛ لأن القيادة عندهم عطاء وتضحيات، وعند غيرهم - للأسف الشديد - كسب وامتيازات.

ترى متى نفقه مقولة البارودى البسيطة والسهلة لتكون "الخوافى قوة للقوادم" أمرا واقعا؟

بداية الطريق يا أهل القمة

أسأل الله يا أصحاب الجلالة الفخامة والسمو أن يوفقكم لما يحب ويرضى، وأن يجعلكم على مستوى المسئولية الملقاة على عاتقكم فى هذه الأيام الصعبة، فأنتم تواجهون عدوا أسفر عن عدوانه على مدى ستين عاما أو يزيد، وفى السنوات الأخيرة صار لا يعبأ بكم، ولا يضعكم فى حسبانه، بل يطلب منكم أو يأمر بعضكم - فى وقاحة منقطعة النظير - تأييده فى إجرامه وتنكيله ببعضكم الآخر، بل يطلب من فريق منكم أن يكون حارسا لأفراده القتلة وتأمينهم، فضلا عن إصراره على تهويد فكركم وثقافتكم واقتصادكم وسياستكم بالقهر والإكراه.

ثم إنه الآن لا يصغى لأى نداء، ولا يخشى أى قانون، ولا يخاف أى عقاب، فالظهير الصليبى - أعنى الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية - يقف من ورائه فى مجلس الأمن، وفى المجال الدبلوماسى. . ويساعده بالمال والسلاح والخبرة المتقدمة؛ لذا فالمطلوب منكم أكبر من أن تعبر عنه الكلمات، أو تفصح عنه العبارات، وأنتم - لاشك - تعرفونه وتدركون طبيعته، ولكن بعضكم يحاول تجاهله أو التغاضى عنه، عملاً بمبدأ "أنا وبعدى الطوفان" أو إيثارًا للراحة والسلام ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [البقرة: ٢٤٩] أو ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن الطوفان لن يُبقى على أحد، ولن

يستثني أحدا.

مع كل الظروف والمضاعفات والصعاب أنتم قادرون على العمل، وقادرون على الفعل، بدليل أنكم ذهبتم إلى إيران بوحى من الشيطان الأكبر "أمريكا"، وحاربتم طوال ثمانى سنوات، وأنفقتم مئات المليارات من الدولارات على حرب عبثية لا مسوغ لها، تناديتم إلى حراسة البوابة الشرقية للوطن العربى.. وضيعتم الكثير من المال والسلاح والرجال، فى الوقت الذى كان فيه الكيان اليهودى الاستعمارى يزداد عتوا وصلافة، وينتج المزيد من القنابل النووية، ويستقبل المزيد من المهاجرين اليهود القتلة.

ما أنفقتموه هنالك كان يمكن إنفاق بعضه هنا؛ لوأد المشروع الاستعمارى اليهودى، ولكنكم ضننتم على الدولة التى كانت تقود المواجهة، وعيرتموها بفقرها وحاجتها، مع أن دم أبنائها كان سببا فى الثروة التى أهدرت على حراسة البوابة الشرقية.

حضرات القادة - أعزكم الله وسدد خطاكم - يمكنكم طى صفحة الماضى الكريه بكل ما فيها من تفرق وتشرذم وسفه وتبذير وجاهلية وتضليل... للبدء فى صفحة جديدة تقوم على مشاركة شعوبكم، ثم العمل الجاد لمحاصرة العدو، وعدم تأييده، مع دعم الشعب المظلوم فى فلسطين، أؤكد مرة أخرى أننى لا أطلب منكم شن الحرب وإعلان الجهاد ضد الكيان الاستعمارى الآثم - مع أن ذلك أمر طبيعى واستراتيجى، ويفترض فى أية أمة مستباحة ناهيك عما يلزمنا به الإسلام من ضرورة المقاومة والمدافعة والجهاد وإعداد ما

نستطيع من قوة - لكن الذى أراه وتُطالب به الأمة من حد أدنى، هو محاصرة العدو مثلما يحاصر الشعب الفلسطينى المظلوم.

إنه - أى العدو اليهودى - يمزق أوصال الضفة والقطاع، ويغلق الطرقات بين المدن والقرى، وبين الأحياء داخل المدن، وبين القرى نفسها فلا يتواصل الأهل، ولا تمر السيارات، ولا يتحرك الناس نحو أعمالهم خارج بيوتهم، ثم إن العدو يحاصر الناس بالجوع، فلا يسمح بدخول المساعدات الغذائية، ولا يسلم مستحقات الفلسطينيين من أموال الضرائب، كى يتوقف دولاب العمل داخل المؤسسات الإدارية، ومن ثم ينهار الكيان الفلسطينى، وتعم الفوضى.

إن الحصار سياسة يهودية إجرامية تؤدى إلى الموت أو الفرار، وكلاهما هدف استراتيجى لتفريغ فلسطين من أهلها - أو ممن تبقى من أهلها - ليحقق صفاء الدولة عرقيا أو نقاء الدولة اليهودية من العناصر الأخرى.

والظهير الصليبى يفرض الحصار، ويساعد عليه فى فلسطين أو العراق أو إيران أو أفغانستان، بل يفرضه من جانب واحد إذا لم يستطع فرضه عبر مجلس الأمن الدولى الذى يهيمن عليه.. فلماذا يتطوع العرب - أو قادتهم تحديدا - بفتح الأبواب أمام العدو تحت مسمى التطبيع؟

إن إعادة فرض المقاطعة على البضائع اليهودية والأمريكية والهولندية والكندية صارت فرض عين على الحكومات العربية.. وكل من يؤيد العدو اليهودى ويدعمه يجب علينا أن نقاطعه دون

خجل أو خوف؛ لأنهم يفرضون المقاطعة على من لا يسير فى ركابهم ولا يقف مع مطامعهم.

نحن أصحاب حق اعترفوا به فى قراراتهم الدولية التى يسبغون عليها صفة "الشرعية" مع أنها شرعية ناقصة، بل هى شرعية ظالمة؛ لأنها تعطى ما لا تملك لمن لا يستحق، ثم تضفى عليه الحماية والرعاية إلى ما لا نهاية.

الظهير الصليبى يا أهل القمة

تظهر هذه الكلمات، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو، وأنتم توشكون على الانتهاء من أعمال القمة، إذا قدر الله لها أن تنعقد، وتسفر عن نتيجة ما، ولعل بعضكم، أو أتباع بعضكم يقرأ كلماتى فيضعها فى حسبانه، حسبة لله وللإسلام وللمسلمين.

قبيل الحروب الصليبية الأولى خطب البابا "أوربانوس الثانى» فى مؤتمر عظيم عقد بفرنسا، قائلا: "أيها المسيحيون: إن تلك الأرض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها، وتلك المغارة المرعبة المختصة بغادينا، وذاك الجبل الذى عليه تألم ومات من أجلنا، وذلك الضريح الذى تنازل لأن يدفن فيه ضحية للموت.. كلها أضحت ميراثا لشعب غريب، وغاب كل بهائها الأصلى، وهياكلها قد خربت، وأشعة نورها الساطعة تحولت إلى ظلام حالك، وهى تستحق الندب الشديد والبكاء. ولم يعد لله من معبد داخل المدينة المقدسة الخصوصية، وجهات آسيا الأكثر ثروة وغناء قد أضحت فى فقر مهين، وأنطاكية وأفسس ونيقية قد صارت مدن الإسماعيليين، والأتراك قد مدوا ولايتهم إلى حدود ليبوتوس، لا، بل إلى أبواب القسطنطينية. ومن هناك ذراع هذه الشعوب القوى يهدد بالاستيلاء على كل ممالك الغرب.. ".

ثم أضاف "أوربانوس الثانى": "لقد آن الزمان الذى فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التى اتخذها فريق منكم حتى الآن ضد فريق آخر لأخذ الثأر عن بعض إهانات، فالحرب المقدسة المعتمدة

الآن ليست هى لأخذ الثأر من إهانات البشر، بل عن الإهانات الصادرة ضد الله، وليست هى لاكتساب مدينة واحدة فقط بل هى أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التى لا تحصى، فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلصوا الأراضى المقدسة من أيدى المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبنا وعسلا.. فإذا انتصرتم على أعدائكم فالملك الشرقى يكون لكم قسما وميراثا. وأما إذا قتلتم فلكم المجد؛ لأنكم تموتون فى المكان الذى فيه مات يسوع المسيح".

عندما تقرءون: حضرات الملوك والرؤساء والأمراء، هذا الكلام الذى قاله "أوربانوس الثانى» هل تجدون فارقا بينه وبين ما يقوله زعماء العصابات العسكرية اليهودية الاستعمارية فى فلسطين هذه الأيام؟ هل ترون أن الخرافة والرغبة فى الاستعمار لدى الصليبيين القدامى تختلف عن الخرافة والرغبة فى الاستعمار لدى الصليبيين الجدد من خلال العُدو اليهودى الاستعمارى؟

إن "أوربانوس الثانى» وأشباهه من الحاخامات اليهود، لا علاقة لهم بالحقيقة الدينية، ولا تعنيهم من قريب أو بعيد تعاليم المسيح وموسى عليهما السلام؛ لأنها لو كانت تعنيهم حقا، أو يرتبطون بالحقيقة الدينية كما أوحى بها الله سبحانه إلى النبيين الكريمين، لما آذوا عباد الله، ولما حكموا بتكفيرهم، واستحلال أرضهم وبلادهم وثرواتهم ومقدساتهم، وهو ما يحدث الآن بكل جرأة ووقاحة من خلال تحالف الصليبيين المعاصرين مع اليهود القتلة المستعمرين، مما

يعنى أن تعليق الأمل على القيادة الصليبية الدولية المعاصرة ممثلة فى الولايات الأمريكية المتحدة، خطيئة كبرى لا تغتفر؛ لأن هذه القيادة ليست وسيطا نزيها.

ولا تحب العرب ولا المسلمين، وإذا كان بعض العرب فى الخليج وأماكن أخرى يظنون أن أمريكا الصليبية هى المحب لهم، والمدافع عنهم، والحريصة على أنظمتهم فهذا وهم كبير، أثبتت الأحداث عدم صحته. إن القيادة الصليبية الدولية لا تحب إلا نفسها، ولا تعشق إلا مصالحها، ولا تتغزل إلا فى خدامها، ونستطيع أن نرصد بعض العلامات الدالة فى الساحة السياسية مؤخرا على النحو التالى:

١- أن السيد كولن باول، أعلن فى لقائه مع اللوبى اليهودى "إيباك" حرصه وحرص بلاده على دعم الدولة اليهودية الاستعمارية، وضمان تفوقها العسكرى، ووجودها المهين على بقية بلاد العرب والمسلمين.

٢- أن السيد جورج بوش الابن - رئيس الولايات المتحدة - أعلن أنه حريص على أن تكون القدس عاصمة أبدية وموحدة للكيان اليهودى الاستعمارى، وأنه لن يضغط على هذا الكيان (أو العرب) ليصلوا إلى اتفاق سلام.

٣- القيادة الصليبية العالمية المعاصرة ممثلة فى الولايات المتحدة تدعو الفلسطينيين إلى وقف ما يسمى بالعنف ضد الكيان اليهودى الاستعمارى، وترفض فى مجلس الأمن وجود قوات دولية فى فلسطين لحماية الشعب الفلسطينى الأسير الذى يتعرض يوميا للذبح

والقتل والحصار والتجويع على يد اليهود القتلة.

٤- ذهب السفاح شارون إلى واشنطن، واستقبلته أمريكا استقبال الفاتحين، وحققت له كل مطالبه، ونسيت أن دم الأبرياء ما زال يتساقط من يديه منذ عام ١٩٤٧ حتى الآن" فى الوقت الذى هاجت فيه وماجت؛ لأن زعيم حزب الحرية النمساوى (يورك هايدر) نجح فى انتخابات شعبية وكاد يشكل الحكومة النمساوية، بتهمة أنه يدعو إلى النازية، مع أن المسكين لم يقتل أحدا، ولم تتلوث يداه بالدم، كما يتلوث جسم شارون كله بدماء العرب والمسلمين.

٥- أقامت أمريكا الدنيا ولم تقعدها لأن روسيا اتفقت مع إيران على التعاون فى المجالات الدقيقة والعسكرية، وطردت خمسين دبلوماسيا يعملون فى السفارة الروسية فى واشنطن، وأعلنت فجأة عن اكتشاف جاسوس أمريكى يعمل لحساب روسيا، وسيلى ذلك طبعا، قطع المعونات الأمريكية عن موسكو وأشياء أخرى كى لا يساعد الروس الإيرانيين ولا العرب.

ترى، يا حضرات الملوك والرؤساء والأمراء، إلى متى الصمت على القيادة الصليبية الدولية المعاصرة، وهل تتركونها تنهب ثرواتكم، وتساعد عدوكم المباشر بالمال والسلاح والدعم السياسى، وتحاصركم اقتصاديا وعسكريا وسياسيا، وتقتل شعوبكم المظلومة فى فلسطين والعراق وأفغانستان وكشمير والبلقان..؟ إن التاريخ لن يرحم الضائعين المضيعين، ولله فى خلقه شئون.

وَسِوىَ الرّومِ خلفَ ظهرِكَ رُومُ

تظل مدائح شاعر العربية الأكبر لسيف الدولة الحمدانى مصدر ثراء تاريخى وأدبى؛ لأن الشعر العظيم "موضوعه مجاهد عظيم وقائد كبير، وفى لحظات الضعف والهوان نعود إلى هذا المصدر فنرى من خلاله نماذج نفتقدها، وبطولات نبحث عنها، وعزًا غاب عنا طويلا.

يجتمع قادة عشرين دولة أو أكثر فى عمان قبل فترة قصيرة من أجل قضية مصيرية هى قضية فلسطين. وفى أثناء اجتماعهم، وبعده بقليل من الساعات تقوم عصابات العدو اليهودى بإطلاق مدافعها وصواريخها على الشعب الأسير، فتقتل الأبرياء وتهدم البيوت، وتشرد الآمنين وتبث الذعر فى قلوب المدنيين المسالمين.. لا تعبأ برد فعل، ولا تخشى غضبة قائد، ولا ثورة حاكم" فهى واثقة من أن الجميع مؤدبون ومهذبون، قد قاموا بواجبهم فى الإعلان عن "خيارهم الاستراتيجى" الذى لا خيار بعده، وهو الصمت والسكون مهما جرى وحدث: باسم السلام.

ومن ثم، تتمادى العصابات اليهودية فى إجرامها، فتقوم باغتيال من يفاوضونها، وتصنع الكمائن لوفود المفاوضين الذين ذهبوا إليها لينسقوا معها من أجل أمنها واطمئنانها، ولا تلتفت لما يقال عن العنف المفرط أو القسوة المفرطة التى تستخدمها مع الشعب الأسير، وسلطته المحدودة التى تقوم بالخفارة لحسابها ومن أجلها.

يقول المتنبى لسيف الدولة الحمدانى:

أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول؟
وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أى جانبيك تميل
قعد الناس كلهم عن مساعيـ..
ـك وقامت بها القنا والنصول
ما الذى عنده تدار المنايا
كالذى عنده تدار الشمول

عندما نسمع هذه المقولة نتحسر على واقعنا وما يجرى فيه، ونتساءل ما الذى يجعلنا لا نغزو دفاعًا عن شرفنا وكرامتنا ووجودنا مثلما فعل سيف الدولة فى الأزمنة الخالية؟ لقد ظل سيف الدولة يواجه الروم حتى بدا المتنبى مستبعدًا عودته ورجوعه إلى الوطن، ثم ينبهه إلى أن خلف ظهره، فى بلاده، "رومًا" آخرين يحتاجون إلى مواجهة؛ لأنهم يمثلون خطرًا آخر داهمًا، وكأنه يستدعيه ويحثه من أجل العودة لمواجهة هؤلاء الخونة الذين ظنوا أنهم يستطيعون الانقضاض عليه من الخلف، وإذا كان المتنبى يدين حكام عصره لتقاعسهم عن مواجهة الروم، أو يضعهم فى دائرة الروم الذين خلف ظهر سيف الدولة، فإنه يشيد به؛ لأنهم قعدوا عن الجهاد، وقام هو بواجب الجهاد مستخدمًا رماحه وسيوفه دون أن يضعف أو يجبن، ثم قارن بين من يواجه الموت "وعنده تدار المنايا" والذى يواجه الدعة

والاسترخاء واللذة "وعنده تدار الشمول".

هل كان "المتنبى" يعيش فى عصرنا ليرى "روم" الخلف، ومن عندهم تدار الشمول أو "الخمر الباردة"؟

هل سمع "المتنبى" عن الذين فتحوا جبهة الكلام عن القوات السورية فى لبنان، فى الوقت الذى رحبوا فيه بالقوات اليهودية الغازية عندما دخلت بيروت؟ ووقعوا معها معاهدة الخيانة والعار؟

ثم تحالفوا معها وأقاموا "جيش لبنان الجنوبى" ليكون حارسًا لها، وسوط عذاب ضد أشقائهم فى الجنوب؟ ثم أرغى زعيمهم - البطريرك - وأزبد، وسافر إلى فرنسا وأميركا ليستنفر العالم الصليبى الاستعمارى ضد حكومته، وضد شعبه، وضد سورية، فى الوقت الذى لم يفتح فمه ليستنكر ما فعلته قوات الغزو اليهودى فى صابرا وشاتيلا؟ المفارقة أن أهل التنوير فى بلادنا لم يستنكروا أن يعمل البطريرك بالسياسة والخيانة، ولكنهم - فقط - يتحركون عندما يشمون رائحة كلمة واحدة عن الإسلام، فيقيمون الدنيا، ولا يقعدونها، وما أكثر كلامهم عن التطرف والإرهاب والإسلام السياسى والثيوقراطية والظلامية والقرون الوسطى.

كأن "المتنبى" يعيش بيننا الآن، ويشاهد بأم عينيه الأشاوس والنشامى، وهم يستمتعون بصورهم أو بطلعاتهم البهية تزين شاشات تلفازاتهم، مع أحاديث نفاقية عن بطولاتهم وزعاماتهم وإلهاماتهم وأمجادهم وفتوحاتهم وعبقرياتهم غير المسبوقة، وإذا فرغت الشاشات من ذلك أطلت علينا جحافل الطبّالين والزمارين والراقصات

والغوانى ومن فى حكمهن، ليملأن حياتنا بهجة ومتعة وسعادة فى الوقت الذى يمزق فيه نواح الأمهات الفلسطينيات الثكالى نياط القلوب والصدور، وهن يشيعن الأبناء والأزواج الذين استشهدوا برصاص العدو اليهودى وقذائفه، ويجيبها المتنبى بحديثه المدبب:

ما الذى تدار عنده المنايا

كالذى تدار عنده الشمول

كان المتنبى يهجو زمانه، ويغلو فى الهجاء، مع أن زمانه عرف أبطالاً صادقين، وفرسانًا حقيقيين، مثل: سيف الدولة وكافور الإخشيدى لقد ظل سيف الدولة يغزو الروم "طول الحياة"، ويدفعهم عن ثغور الشام وحدوده، ويؤمن سيادة الدولة الإسلامية جهة الشمال، دون أن يصيبه كلل أو ملل، ودون أن يعلن عن الصمت والسكون أو ما يسمى "بالخيار الاستراتيجى للسلام" هدفًا وغاية، فعاش كريمًا، ومات عزيزًا، ولكن الأشاوس والنشامى لا يغيرون هذه الاستراتيجية أو هذا الخيار الاستراتيجى إلا مع شعوبهم وأشقائهم.. فهم على شعوبهم أشد من الصواعق والعواصف، وعلى أشقائهم أقسى من الغرباء والأجانب، وانظروا كيف تقوم للعدو اليهودى الاستعمارى سفارات وقنصليات على أراض عربية إسلامية، فى الوقت الذى تغلق فيه السفارات العربية الإسلامية فى بعض بلاد العرب والمسلمين.. أيها المتنبى: لماذا عرفناك؟

ليتنا لمّ نعرفك كما قال أديب راحل أخشى أن يحاولوا القبض عليك كما حاول بعضهم القبض على الإمام ابن تيمية قبل سنوات قلائل.

أنت طول الحياة للروم غازٍ..

كأن شاعر العربية الأكبر "المتنبى" يشفق على سيف الدولة الحمدانى من كثرة غـزواته، ومواجهاته للروم المتربصـين بالعرب والمسلمين، ولا يكفـون عن تدبيـر المكائد وتجـيـيش الجيـوش لإنزال الهـزائم بالأمـة الإسلامـية، وتحطيم كبـريائها، وتمريغ كرامـتها فى التـراب. . تصدى سيف الدولة للروم، وظل مـرابطا ومجاهدا يدفعـهم عن بلاد الإسلام التى عاشت فى مأمن فى ظل وجوده على الحدود:

كـيف لا يأمن الـعـراق ومـصـر
وسـرايـاك دونهـا والخـيـول؟

ولنا أن نتأمل استـخدام "المتنبى" لضمير المخـاطبة "أنت" وهو يمدح سيف الدولة، ويردف هذا الضـمير بقـوله "طول الحياة" قـاصدا "طول حياتك ومدة عـمرك" تعبيرا عن استـمرار المواجهة، واستمـرار العزيمة، واستمرار الغزو، دون أن يؤثر فيه التعب أو الكلل أو الملل، فلا يفكر فى ترك الغزو، ولا تخور عزيمته، ولا تضعف مواجهته، وهو ما يشى بعدم تفكيره فى العودة إلـى حاضرة مملكته "حلب" والاستـمتاع باستراتيـجية "السلام" أو "خيار السلام الاستراتيجى"؛ لأنه يعلم أن "خيار الغزو" قد فرضه العدو، واتخذه منهجا وسلوكا واستراتيجية، ومن ثم فإن "المتنبى" يستبعد عودة "سـيف الدولة" ورجـوعه إلى "حلب" لإدراكـه عظم الدور المنوط به فى الحفاظ على "بيضة الإسلام":

أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول؟

ولا ريب أن البحث عن "غاز" فى زماننا لأعدائنا يبدو من سابع المستحيلات، اللهم إلا إذا عددنا شعبنا الأسير فى فلسطين السليبة هو الذى يقوم بهذه المهمة، وينهض بالمواجهة ضد العدو اليهودى الاستعمارى وظهيره الصليبى الهمجى، وفى الوقت ذاته فإنه يمكن القول إن الآية قد انعكست، وإن عدونا الحالى هو الذى يقوم "طول حياته" بغزو العرب والمسلمين، ولعل المتنبى لو كان حيا لخاطب مجرم الحرب السفاح "إرييل شارون".

وقال له: "أنت طول الحياة للعرب غاز.."، فالرجل منذ نعومة أظفاره وهو يغزو العرب والمسلمين، ويذبحهم ذبح النعاج، ويسجل غزوه فى أكثر من ناحية. غزا الفلسطينيين وكان "بطلا" لمذبحة "قبية" وغيرها، ثم غزا مصر فى ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، وقتل الأسرى المصريين بعد استسلامهم له وداس على عظامهم بدباباته، وذهب إلى لبنان، واحتل بيروت، وقتل الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا بمعرفة الخونة من المارون، وأقام رئيس جمهورية مارونيا بمعرفته، وسلح جيش الخونة فى جنوب لبنان، ثم ظل يغزو العرب والمسلمين باحتقاره لهم، والكيد لهم، والإذلال لهم، حتى صار رئيسا للعصابات اليهودية الاستعمارية، بعد أن عجز سلفه عن تحقيق أحلام اليهود القتلة وإنهاء "المسألة الفلسطينية" وإغلاق ملفها، وها هو يعلن "حرب المائة يوم" للقضاء على ما تبقى من مقاومة الشعب الأسير، ويستخدم فى ذلك ما

يحلو له من أسلحة، بدءا من البنادق مرورا بمدفعية الدبابات وصواريخ الطائرات حتى اليورانيوم المستنفد والغازات السامة بالإضافة إلى استخدام الجرافات لتدمير المنازل والمخيمات التى يقيم فيها الفلسطينيون الذين أُخرجوا من قراهم ومدنهم ليحل محلهم اليهود الغرباء القادمون من شتى أنحاء الأرض (تأمل مثلا ما حدث فى مخيم خان يونس وأثار استنكارا دوليا لا قيمة له)، ومع ذلك يظل المجرم السفاح شارون يقوم بغزوه للفلسطينيين على أرضهم.

وللعرب فى نفوسهم وأفئدتهم، ويؤازره حاخامات اليهود من عينة "عوفاديا يوسف" - زعيم حزب شاس الإرهابى - الذى وصف العرب والمسلمين بأحط الصفات وأقبحها وطالب بقتلهم دون رحمة أو شفقة وتخليص البشرية منهم وفضلا عن الحاخامات فهناك رجال شارون ووزراؤه من أمثال "عوزى لانِدو" - وزير الأمن الداخلى، و"بنيامين أليعازر" - وزير الدفاع، و"أفيدور ليبرمان" الذين طالبوا بقتل عرفات بوصفه مجرم حرب!، واغتيال زعماء السلطة الفلسطينية وقادة المقاومة الفلسطينية من حماس والجهاد وفتح وغيرها، واحتلال المناطق الخاضعة كليا للسلطة، مع استمرار الحصار الاقتصادى وحرمان الشعب الأسير من وصول المعونات الطبية والغذائية حتى يتم استسلامه وركوعه للغازى اليهودى الاستعمارى "إرييل شارون" وعصاباته.

والسؤال هو: لماذا يصر "إرييل شارون" على أن يكون طول الحياة غازيا، بينما يصر العرب والمسلمون على أن يكونوا طول الحياة صامتين ساكتين مسالمين؟

نحن لن نطالب العرب والمسلمين بأن يمتثلوا لمنهج الدين الذى

يأمرهم بالجهاد والدفاع عن المقدسات، ولن نحدثهم عن الشهامة أو النخوة التى يفرضها العرف والخلق، ولن نكلمهم عن الوطنية أو القومية التى تفرض الدفاع عن الشرف والعرض، ولكننا نشير فقط إلى منهج الربح والخسارة، ونقول إن مواجهة العدو مواجهة فعالة وحاسمة على المستويات الممكنة ستقلل من الخسائر إلى حد كبير، وتلجم العدو ليقف بقواته ومدرعاته وطائراته عند حدود معينة.

هذا إن لم تحرز مكاسب تجعله يفكر ألف مرة قبل أن يولى وجهه شطر هذه الدولة العربية أو تلك أو يواصل تخطيطه لإقامة ما يسميه بالدولة التاريخية المهيمنة على المنطقة ومن فيها.. إن المواجهة لن تجعل الفلسطينيين يخسرون شيئًا فقد ضاع منهم كل شىء: الوطن والحياة والقدس. وعدم المواجهة سيجعل العرب والمسلمين يخسرون أشياء أخرى غالية ونفيسة: أرضا، وأوطانا، وثروات، فضلا عن الكرامة.. فأيهما أجدى: المواجهة أو الصمت والسكون والخيار الاستراتيجى للاستسلام؟

أليس من المعيب والمخزى أن يخرج مسئول عربى هنا وهناك ليستجدى العدو اليهودى الاستعمارى كى يجلس للمفاوضات مع الفلسطينيين، والدم الفلسطينى يسيل أنهارا فى الخليل ورام الله والقدس وطولكرم ورفح وغزة وخان يونس وقلقيلية ونابلس وبيت لحم؟ ومتى كانت للمفاوضات مع العدو اليهودى الاستعمارى نتيجة فعالة فى استعادة الحقوق أو إعادة النازح والمُهَجَّرْ الفلسطينى إلى أرضه ووطنه وداره؟ أيها السادة: نحن ننتظر "سيف الدولة" المعاصر الذى يظل طول عمره وحياته للروم غازيا ولا يعود أبدا إلا بالنصر المؤزر إن شاء الله.

رسالة إلى دمشق

استطاع اليهود أن يضربوا على جبهتين فى وقت واحد، وأن يثبتوا أن العرب والمسلمين ظاهرة هشة، وأن حكوماتهم لن تجد بهم نفعا أو فتيلا، فقد ضربت الطائرات اليهودية رادار الجيش السورى فى "ضهر البيدر" الذى يقع على منتصف المسافة تماما بين دمشق وبيروت، وخلفت ثلاثة من القتلى وخمسة من الجرحى، ثم اقتحمت بدباباتها ومدرعاتها المنطقة "أ" فى قطاع غزة، ودمرت نحو أربعين بيتا فلسطينيا، وتركت عشرات الأسر دون مأوى يبكون وينوحون بين الأطلال، ويستنجدون بالأشاوس والنشامى دون أن يجيبهم أحد، أو ينجدهم أحد ولو عرف اليهود الغزاة أنهم سيخسرون عشر خسائر العرب والمسلمين لترددوا قبل أن يضربوا.

وقبل ذلك بيوم أو يومين كانت المدمرات الأمريكية فى الخليج تضرب حاملة النفط العراقية "زينب" وتغرقها بما تحمله من زيت خام (أكثر من ألف طن) فى شمال الإمارات العربية المتحدة، وانكفأ على الخبر ماجور، وسكت أهل العراق، كما سكت العرب والمسلمون من قبل إغراق "زينب" ومن بعدها ولو عرف الأمريكان أنهم سيواجهون بطلقة واحدة لترددوا قبل أن يضربوا.

اليهود القتلة أعلنوا أن تدمير الرادار السورى رسالة إلى دمشق كى توقف عمليات حزب الله ضد جيش العدوان اليهودى فى مزارع شبعا، كما قالوا للعالم وللرئيس عرفات إن دخول غزة بالمدرعات

والدبابات اليهودية هو مجرد إنذار لما يمكن أن يحدث مستقبلا إذا استمرت المقاومة، واستمر إطلاق قذائف الهاون على المستعمرات اليهودية ولم يضعوا فى حسبانهم أهمية لصواريخ سام أو طائرات الميج.

صبيحة الغارة اليهودية كدت أموت قهرا.. العالم كله يتحدث عما جرى إلا من يعنيهم الأمر فى دمشق فلا حس ولا خبر، رادارهم يدمر، وجنودهم يقتلون، والعدو يباهى بإذلاله لهم، وهم صامتون لا يتكلمون، فى المساء جاء أول رد فعل من الوزير "الشرع" فى موسكو يتكلم عما يسميه بحق سوريا فى الرد المناسب بعدها بيومين سمعنا أن الرئيس السورى، الشاب "بشار الأسد" يتحدث عن أن سوريا لن تقف مكتوفة الأيدى، بعدها بيوم خرج "ريتشارد باوتشر" يشيد بضبط النفس السورى ويطالب باستمراره ثم سمعنا عن محادثة هاتفية بين الرئيسين السورى والأمريكى يتحدثان من خلالها عن الاستقرار فى الشرق الأوسط وضرورته، ومضت الأيام، والسفاح اليهودى "إرييل شارون" يجتمع سعيدا مع أركان حكمه وجيشه لوضع المزيد من الخطط لتأديب العرب والمسلمين فى دمشق وبيروت وغزة ورام الله، ويحظى بمباركة ظهيره الصليبى فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وروسيا وجيوشنا مكتوفة الأيدى.

خرجت الأصوات العاقلة (جدا) تتحدث عن ضرورة ألا يجرنا العدو اليهودى إلى معركة لسنا مستعدين لها يجب أن نحدد نحن موعد ومكان المعركة حتى ننتصر ولا ننهزم، والأصوات العاقلة جدا،

أشادت بما أمر به "عرفات" جنوده كى يعتقلوا من يطلق قذائف الهاون على قوات العدو، حتى لا يجد العدو ذريعة لضرب الفلسطينيين بصورة مبالغ فيها. . وهل العدو يحتاج إلى ذريعة؟

المفارقة أن هذه الأصوات العاقلة لم تتحدث أبدًا ولم تنطق، يوم قام الجيش السورى بتدمير مدن حماة وحمص وحلب، وسوى بعضها بالأرض، وخلَّف آلاف القتلى والأرامل واليتامى، ولم ينتظر الوقت المناسب أبدا لقتال أهله وشعبه ووطنه الذين يرفضون توجهات حزب البعث واستبداده وديكتاتوريته ودمويته ضد مخالفيه.

وهذه الأصوات العاقلة لم تسأل نفسها متى يستعد العرب والمسلمون خاصة الجيش السورى- لمواجهة العدو اليهودى الاستعمارى الذى يحتل فلسطين والجولان ومناطق فى لبنان؟ ألا تكفى خمسون عاما للاستعداد والهجوم والانقضاض على العصابات اليهودية التى لا تتوقف عن الاستعداد والهجوم والانقضاض؟ علما بأن لدينا مئات من الصواريخ وعشرات من الطائرات؟

وهذه الأصوات العاقلة لم تسأل نفسها: لماذا يكون الاستعداد والهجوم والانقضاض أمرا حتميا وفوريا إذا تعلق بالأشقاء (كما حدث بالنسبة للعراق مع إيران والكويت، وسوريا مع الأردن والعراق) ويكون أمرا احتماليا ومؤجلا مع العدو اليهودى وتركيا؟

إن المسافة بين دمشق والجولان - حيث مواقع جيش العصابات اليهودية الاستعمارية- لا تزيد على ثلاث دقائق تستطيع فيها الطائرات السورية أن تدمر مواقع رادارية وصاروخية عديدة للعدو

وتعود سالمة قبل أن تنهض لمطاردتها طائرات العدو وصواريخه. . فلماذا لا يفعل السوريون مثلما يفعل أعداؤهم وأعداؤنا؟ ومن الذى يكتف أيدى السوريين وغيرهم ويوقفهم عن الفعل والعمل.

وبالمناسبة، فإن هناك سؤالا قديما معلقا لم يجب أحد عليه حتى الآن، وهو: لماذا لم يقم الطيران السورى فى حرب رمضان بضرب عمق العدو اليهودى وهو أقرب إليه من أى بلد عربى آخر؟ لو فعل لتغيرت نتائج كثيرة. . ولكن يبدو أن هناك من يوقف الجيش السورى مكتوف الأيدى إلى الأبد.

الهزيمـــــة الداخـــلية

كل الدلائل والإشارات، تؤكـد أن هزيمة العرب والمسلمين تأتى من الداخل قبل أن تأتى من عدوهم اليـهودى أو الصليبى، وللأسف فإن نصف قرن من الهزائم العسكريـة التى ذاقها العرب والمسلمون لم تغيرهم. ولـم يأخذوا منها العبرة أو العـظة، وساروا - أو بالأحرى سـارت أنظمتـهم- على الدرب ذاتـه، تدميـر أنفـسهم بـأنفســهم، واستـمرار البنية التى تقـوض وجودهم وتضعـهم على طريق الهوان والفناء. إنها بنية مـعادية للحق والعدل والشورى والتـسامح والجدية ومقاومة الفـساد وتصحيح الأخطاء. إنها بنية الظلـم الاجتماعى التى تجعل المنافق والأفـاق والهتيف والكذاب فى الطبقـة العليا من النظام وقيادة المجتمع، وتجعل الصادق الملتزم الجاد المستقيم فى القاع وباطن الأرض.

لقد فـقدت مـعظم النظم العربـية والإسلامـية حـالة التناغم التى يفترض أن تحكم حركة المجتمعات، وتحقق التكامل بين بنيها فى رؤية ما يجرى على أرضها ومن حولها، بحيث تصل إلى القرار الصائب، والعمل الناجح، ولكن مـاذا نرى أينما ولينا وجوهنا؟ نرى مسـئولين يعـاكسـون رغبـة الأمة، يخـربون تعليـمهـا، ويزيفون إعـلامهـا، ويصادرون إرادتها، ويحاصـرون عزيمتها، ويثبطون همتـها، ويقفون دون تحقيق أمانيها، بالقهر والاستبداد والهزل والرياء والغش، وهو ما لا يفعله العدو اليهودى الاستعمارى فى فلسطين، ولا العدو الصليبى الاستعمارى فى أوروبا وأمـريكا، إن البنية الفاعلة لدى هذا العدو أو

ذاك، هى بنية متحركة فى اتجاه العمل والجدية والتفاهم الاجتماعى وتحديد الأهداف، والتخطيط الجيد لتحقيقها، وهو ما يجعل نجاحاتهم متوالية ومتتابعة ومتصاعدة، على العكس مما يحدث لأمتنا وشعوبنا.. نحن لا نريد أن نكون صادقين مع أنفسنا، رحماء مع قومنا، أوفياء لبعضنا، ما يجرى بيننا يجعل الأرض والسماء فى خجل عظيم، وسأضرب مثلاً قريبًا وبارزًا من واقعنا الراهن الذى يشغلنا ويؤرقنا كل ساعة، أعنى الانتفاضة المباركة، التى أوشكت أن تدخل شهرها الثامن، تاركة وراءها ما يقرب من خمسين وأربعمائة شهيد، عدا آلاف الجرحى والمعاقين، فضلا عن مآسى الحصار والفقر والجوع والبطالة وهدم البيوت.

لقد قامت هذه الانتفاضة المباركة بعد سنوات من اغتيال الانتفاضة الأولى باتفاقيات الاستسلام فى أوسلو، وكان السبب المباشر هو تحدى السفاح شارون للأمة الإسلامية وتدنيسه للمسجد الأقصى المبارك، ومع الدماء التى تسيل يوميا على أرض فلسطين، وتشييع الشهداء الأبرار بصفة شبه يومية، فإن نظام السلطة الفلسطينية التى تمخضت عن اتفاقيات "أوسلو" يمارس القمع والاعتقال ضد الفصائل التى لا تؤيده أو تبارك منهجه الانهزامى، كما يستجيب لإرادة العدو اليهودى بالقبض على المجاهدين من "حماس" و"الجهاد الإسلامى"، وإيداعهم السجون، وصواريخ العدو وقذائفه تنهال على رؤوس الفلسطينيين وتهدم بيوتهم، وتحول ليلهم إلى نهار، ثم إن نظام هذه السلطة لا يعبأ بدماء الشهداء، ويواصل

التفاوض أو يسعى للتفاوض مع اليهود الأنجاس بعد أن ظهر للدنيا كلها أن المفاوضات معهم عبث لا طائل من ورائه؛ لأنهم يؤمنون بشيء اسمه "القوة" ويعتقدون أنهم الأقوى الذى يجب ألا يُسلّم بشيء لا يريده، ولا يرغب فيه، وكان من المخزى والمؤلم أن يساوم نظام السلطة الفلسطينية على وقف الانتفاضة المباركة - يسميها العنف - مقابل الجلوس على مائدة المفاوضات من حيث يريد السفاح اليهودى شارون، والأشد مرارة، أن يكرس نظام السلطة الفلسطينية مهمته لحماية العدو اليهودى الاستعمارى، تحت مسمى "التنسيق الأمنى" لاعتقال من يتصور أنهم يطلقون قذائف الهاون على مستعمرات القتلة اليهود، فى الوقت الذى لا يقوم فيه العدو باعتقال أحد من أفراده القتلة مهما قتل أو فعل، بل لا يمسه بأى سوء أو كلمة توبيخ أو تأنيب، فضلا عن إطلاق العنان لمن يهدد العرب والمسلمين أو يتوعدهم أو يسبهم بأقذع الألفاظ وأحطها.

إن الذين يتصورون أن العدو يهزمنا قبل أن نهزم أنفسنا مخطئون، فما كان للعدو أن ينتصر إلا بضعفنا واستخذائنا وقسوتنا على بعضنا، وتفريطنا فى عقيدتنا وهويتنا، وترك الفساد يمرح فى أرجائنا، ومشاركتنا فيه أحيانا أو غالبا.

إن المبادرات الذليلة لن تنقذ الضفة ولا القطاع، ولن تحمى الشعب الفلسطينى الأسير، ولن تمنع الخطر عن العرب والمسلمين خارج فلسطين؛ لأن البناء المهترئ من الداخل يغرى المجرمين والطامعين واللصوص، ويهيئ لهم فرصة العمر فى السرقة والنهب والاستلاب

الضرب لم يبدأ بعد

ذكرت صحف الاحتلال اليهودى الصادرة يوم الخميس ٣-٥-٢٠٠١ أن الإرهابى "إرييل شارون" - رئيس الكيان اليهودى الاستعمارى قال لممثلى سكان المستعمرات اليهودية: إن الضرب لم يبدأ بعد يقصد السفاح أن ضرب الفلسطينيين ضرباً موجعًا وساحقاً لم يبدأ بعد، وكأن ضربهم بالدبابات والمدافع والطائرات، وتدمير منازلهم بالجرافات، وتشريد السكان ليس ضربًا وليس عدوانًا، وليس سحقًا للشعب الأسير الذى لا يملك دبابة ولا مدفعًا ولا طائرة.

كان السفاح قبل أيام من هذا التصريح الإجرامى قد أعلن فى بعض المناسبات أن ما يسمى "حرب الاستقلال" - يقصد اغتصاب فلسطين - لم تنته بعد، معنى ذلك أن العدو اليهودى لا يعترف بما تم توقيعه من اتفاقيات ومعاهدات مع دولتين عربيتين مجاورتين لفلسطين المحتلة، وهما مصر والأردن، وبالتالى لا يعترف بما وقعه مع الفلسطينيين فى أوسلو وغيرها.. أى أنه يعد بشن معركة أو معارك أخرى مع الفلسطينيين والعرب حتى تنتهى حرب الاستقلال التى يخوضها.. بالطبع فإن العرب لا يعرفون كيف يتحقق الاستقلال اليهودى، وعلى أية صورة سيكون، أيضا فإنهم لا يعلمون متى تنتهى حرب الاستقلال هذه، وفى أى جيل من الأجيال.

وافقت تصريحات الإرهابى شارون تصريحات إرهابى آخر اسمه "فيكتور ليبرمان" يقترح على الحكومة اليهودية الاستعمارية إعادة

احتلال الضفة والقطاع لمدة ثمانى وأربعين ساعة يتم فيها ضرب البنية التحتية للفلسطينيين وتدميرها تماما، ثم تنسحب قوات جيش الدفاع اليهودى إلى مواقعها وكأن جيش الدفاع لا يحتل الضفة ولا القطاع، ولا يضربهما بصواريخه وقذائفه ليل نهار أمام سمع العالم وبصره، أو ما يسمى المجتمع الدولى.

وعندما غادر الإرهابى "شيمون بيريز" عاصمتين عربيتين فى الفترة الماضية متجها إلى واشنطن ونيويورك كانت وكالات الأنباء تنقل عنه كلاما مغايراً لما قاله فى العاصمتين العربيتين، ويكذّب رئيس أكبر دولة عربية، ولحظه التعس، فإن كلامه كان مسجلا بالصوت والصورة مما اضطره لسحب كلامه ونسبة الكذب إلى المترجمين.. بيد أنه عاد إلى طبيعته اليهودية الفاجرة فى لقائه مع الرئيس الأمريكى "بوش" وتحدث عن المفاوضات ووقف العنف أو تخفيض وتخفيف الحصار على الفلسطينيين.

وظن العرب والمسلمون أن "الراعى الأول" للسلام سيؤنبه على الوحشية اليهودية التى يمارسها جيش الدفاع ضد الشعب الفلسطينى، أو يأمره باحترام ما يسمى "الشرعية الدولية" وتنفيذ قراراتها، أو الالتزام بالاتفاقيات الموقعة مع الفلسطينيين، ولكنهم فوجئوا أن السيد "بوش" يؤكد ما يسميه محاربة الإرهاب الفلسطينى، وضرورة وقف "العنف الفلسطينى" وخرج الإرهابى الثعبان ليقول للصحفيين إن السيد "بوش" يرى الأمور كما نراها نحن، وإننى أشعر بالرضا بعد لقاء فخامة الرئيس. ثم يردف:

إن اليهود يحاربون الإرهاب لا الفلسطينيين.

معنى ذلك كله أن اليهود الغزاة مصممون على الخيار العسكرى الاستراتيجى لإخضاع العرب والمسلمين واستذلالهم بعد هضم فلسطين، وأنهم يجدون العون كل العون والمساندة كل المساندة من الظهير الصليبى الاستعمارى بقيادة الولايات الأمريكية المتحدة التى أعلنت قبل أيام أنها ستقف ضد أية محاولة فى مجلس الأمن لإرسال قوات حماية للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة بعد عام ١٩٦٧، وأنها ستستخدم "حق النقض" - الفيتو - أمام أى قرار يتخذ ضد الدولة العبرية الاستعمارية، فضلا عما أُعلن مؤخرا عن تزويدها بالمزيد من السلاح والعتاد والمعونات.

لغة المجتمع الدولى أو العالم الصليبى الاستعمارى، تركز الآن على ما يسمى بوقف العنف أو إنهاء المواجهات، وكأن أهل فلسطين يملكون جيوشاً جرارة تملك الطائرات والدبابات والمدرعات والمدافع، تواجه جيش الدفاع اليهودى الاستعمارى، وتطلق عليه القذائف والصواريخ مثلما يفعل هو حين يطلق قذائفه وصواريخه على الشعب الأعزل فى فلسطين هذه اللغة التى تساوى أو تسوى بين القاتل والقتيل، بين الظالم والمظلوم، هى لغة عدوانية استعمارية، قد لا تكون مستغربة من العالم الصليبى الاستعمارى وخدامه اليهود الغزاة، ولكنها تبدو نشازًا غريبًا، وشذوذًا مرفوضًا من بعض العرب والمسلمين. إن وقف العنف أو تخفيف المواجهات لا يكون إلا بين ندين متكافئين ليس فيهما ظالم أو مظلوم، أما أن يُطالبَ المظلوم

بوقف العنف أو تخفيف المواجهة فهو لون من مساعدة العدوان إن لم يكن العدوان بذاته.. هل العدل أن نقول للظالم: كف عن عدوانك وظلمك، أم أن نقول للمظلوم: اسكت حتى يقضى عليك الظالم ويسحق عظامك؟ إذا كانت لغة المجتمع الدولى أو العالم الصليبى الاستعمارى وخدامه اليهود الغزاة تحبذ المنطق الأول، فمن المؤسف أن ينضم إليهم بعض العرب، ويطلبوا من الفلسطينيين أن يقفوا مكتوفى الأيدى، والعدو اليهودى بمساندة الظهير الصليبى يهدم بيوتهم، ويقتل أبناءهم، ويخنقهم اقتصادياً واجتماعياً ليموتوا جوعًا.

إن العرب والمسلمين أمام الخيار العسكرى الاستراتيجى اليهودى، مطالبون بالإجابة عن سؤال بسيط وساذج: ماذا أنتم فاعلون؟ إن الإرهابى "شارون" يعنى ما يقول، والإرهابى "ليبرمان" لا يتكلم من فراغ، والإرهابى الكذاب "بيريز" -الذى وصفه "كولن باول" وزير الخارجية الأمريكى بأنه سياسى قدير- ينفذ سياسة رئيسه "شارون" بكل حذافيرها، فماذا سيفعل العرب والمسلمون قبل أن يبدأ الضرب الذى تحدث عنه شارون؟

من يدق طبول الحرب؟

يصر نفر منا على اتهام كل صوت يعلو بمقاطعة العدو اليهودى الاستعمارى، والرد على إجرامه ووقاحاته، بأنه دعوة إلى شن الحرب، والدخول فى معركة لم يستعد لها العرب والمسلمون وهذا الاتهام يقلب حقائق الواقع، ويلوى أعناق الكلمات، مع أن الجهاد بمفهوم الإسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة حين تستباح أرض الإسلام ومقدسات المسلمين، وقد استباح اليهود الاستعماريون الأرض والمقدسات، والكفاح فريضة قومية حين يغزو المستعمرون أرض العرب وديارهم وقد غزا اليهود بلاد العرب وعواصمهم، والمقاومة مسألة حتمية حين يحتل العدو الأوطان ويطرد أهلها ويهجِّر بنيها، ويجلب غزاة من شتى بقاع الأرض ليستعمروها، ويقيموا فيها بدلا من سكانها الأصليين، وقد فعل اليهود المجرمون القتلة ذلك فى فلسطين وسيناء وجنوب لبنان وهضبة الجولان، فالدعوة إلى شن الحرب ضد اليهود الغزاة أمر طبيعى لدى من يملك ذرة عقل أو فكر سليم..

بيد أن ذلك لم يحدث منذ حرب رمضان حتى اليوم، ولكن الذى حدث هو دعوة إلى رفض الاستسلام للعدو اليهودى وظهيره الصليبى، وعدم التطوع بمنحه الأمان مجانا فى الوقت الذى يشن فيه الحرب علنية وسافرة ضد الشعب الفلسطينى الأعزل كل ساعة أو على مدار اليوم والليلة، ويستخدم المدرعات والطائرات يدك بها

مساكن الفلسطينيين، ويقتل الأطفال والنساء والرجال والشيوخ، ويدمر المساجد والمؤسسات، لا يراعى حرمة، ولا يخشى لوما، ولا يحترم قانونا، ولا يأبه بمجتمع دولى أو عربى، ولا يضع للأخلاق أى معيار اللهم إلا معيار إرهاب العرب والمسلمين.

إن العدو اليهودى الاستعمارى هو الذى يدق طبول الحرب صراحة وعلنا كل يوم ضد العرب والمسلمين خارج فلسطين، ويمارسها يوميا فى الضفة والقطاع والجليل الأعلى.

ولمن لا يعلم أن العدو اليهودى الاستعمارى يدق طبول الحرب خارج فلسطين ويستعد لها يوميا، أقول له ما يلى:

- أعلن فيكتور ليبرمان وعدد من قادة العدو أن ضرب السد العالى والعواصم العربية وطهران مسألة واردة إن لم يكف العرب والمسلمون عن مساندة الفلسطينيين، وإن لم يعبروا عن الاستسلام لإرادة العدو تعبيرا كاملا مع تحقيق الشروط اليهودية الاستعمارية فى حسن السير والسلوك.

- يقوم الجيش اليهودى الاستعمارى فى الفترة الأخيرة بتجارب عديدة لاستدعاء الاحتياط وتعبئته استعدادا لخوض القتال خارج حدود فلسطين التاريخية، وإعداد الطيران لقصف بغداد وطهران وأسوان فضلا عن بيروت ودمشق.

- تمضى الآن الدعوة على قدم وساق لاستقبال التبرعات للجيش اليهودى الاستعمارى، وإعداده للحرب، وقد بدأها رجل أعمال يهودى بمبلغ أربعمائة ألف شيكل، وينتظر أن يصل حجم التبرعات

فى وقت قريب إلى أكثر من مليار شيكل إذا استمرت التبرعات بالمعدل الحالى، حيث تدافع عشرات من رجال الأعمال اليهود إلى التبرع لصالح ما أسموه بالمجهود الحربى، لدرجة أن "شموئيل تشانين" أكد أنه سيتبرع بأرباح شركته بالكامل هذا العام لصالح تدريب المحاربين اليهود.

- أعلنت الولايات المتحدة عن نيتها لسحب قواتها المرابطة فى سيناء والمشتركة فى القوات متعددة الجنسيات المشكلة بناء على اتفاقيات "كامب ديفيد"، مما يعنى الإشارة إلى فتح المجال للقوات اليهودية الغازية للعمل فى سيناء وإعادة احتلالها مرة أخرى، مع أن حجم القوات الأمريكية (٩٠٠ رجل) ضئيل، ولكنه يرمز فى كل الأحوال إلى موقف وحالة. فوجودها يعنى استقرار الوضع على ما هو عليه، وعدم وجودها يعنى علامة خضراء للزحف اليهودى الآثم.

- أعلن المجرم اليهودى "إرييل شارون" أنه يسعى إلى استيعاب جميع يهود العالم فى فلسطين بنهاية عام ٢٠١٥، ومعنى هذا أن استمرار الانتفاضة، وعدم التوصل مع سوريا ولبنان إلى اتفاق استسلام سيُعرّض خطة شارون إلى الإخفاق، حيث سيتردد اليهود القادمون فى الانتقال إلى فلسطين المحتلة، وهو ما يجعل من شن الحرب خارج فلسطين أمرًا يهوديًا حتميًا، خاصة أن الانتفاضة فى شهرها الثامن، وقد خسر الفلسطينيون نحو خمسة وسبعين وأربعمائة شهيد عدا آلاف الجرحى، لم ترغم الفلسطينيين على الاستسلام..

وكان "شارون" قد أعلن أن حرب الاستقلال - كما يسميها - لم تنته بعد والحرب بالمفهوم اليهودى الإرهابى ستحقق عدة نتائج مهمة، منها: تحطيم العواصم العربية المستعصية على الاستسلام، أو التى لا تساعد عليه، ثم تهجير معظم سكان الضفة والقطاع فيما يعرف "بالترانسفير"، ثم إسكات جميع الجبهات لإتاحة الفرصة للقادمين الجدد كى يستقروا ويستعمروا ما يسمى بأرض الميعاد

الذى يدق طبول الحرب هم اليهود المجرمون، والذين يتكلمون عن هذه الطبول وينقلون قرعها هم العرب المستسلمون، والدليل على ذلك:

- أن وزير خارجية دولة عربية ذهب إلى أمريكا قبل أسابيع، وطلب لقاء الإرهابى "شيمون بيريز" وعرض عليه استضافة مؤتمر قمة بين عرفات والسفاح شارون فى عاصمة بلاده، فى الوقت الذى كانت فيه دماء الفلسطينيين الغزيرة تروى أرض غزة والضفة.

- أن المبادرة الوحيدة المطروحة على الساحة هى عربية الأصل والمنشأ، وهى مبادرة لا تضع أسس الحل الشامل، ولكنها تتغيى مجرد وقف الانتفاضة والجلوس على مائدة التفاوض مع العدو اليهودى.

- لا توجد عاصمة عربية أو إسلامية حتى تلك التى ضربت بطائرات العدو اليهودى، وتم تدمير بعض أجهزتها وأسلحتها وقتل بعض أبنائها تفكر فى الرد على اليهود الغزاة، وكلها تلتزم بما يسمى "الخيار" الاستراتيجى للسلام فمن الذين يدق طبول الحرب إذن؟

شهادة لها ثمن

يثبت للناس كل يوم أن العدو اليهودى الاستعمارى فى فلسطين، يتفوق فى وحشيته النازية على نازية الصليبيين الاستعماريين، ويمارس هذه الوحشية مع جميع أهل فلسطين أطفالا ورجالا ونساء وشيوخا، مدنيين وفدائيين، لا يفرق بين إنسان وآخر، يطلق قذائفه وصواريخه من الدبابات والطائرات، فتدك البيوت الآمنة، وتقتل من فيها، نائمين أو مستيقظين، ويفعل الشيء ذاته بالنسبة للمواقع الفلسطينية التى تقوم على حمايته ومنع المجاهدين من الوصول إليه، وقد شهدت الدنيا كلها منظر جنود الأمن الفلسطينى على أحد المعابر وهم مضرجون بدمائهم وسط أوانى طعام العشاء الذى كانوا يعدونه.

كان هؤلاء الجنود الذين استشهد خمسة منهم، يقومون على حراسة المعبر تنفيذا لما يسمى بالتنسيق الأمنى، أى حماية الكيان اليهودى الغاصب من أعمال المقاومة، ولكن وحشية النازية اليهودية لم ترحمهم، ولم تتركهم يخدمونها بهدوء، فحرمتهم من تناول طعام العشاء. وشيعتهم إلى العالم الآخر، وسط قهقهات القتلة اليهود، وفسر اليهودى السفاح "شاؤول موفاز" - رئيس الأركان اليهودى النازى - المسألة بأنها خطأ حدث نتيجة معلومات خاطئة.

كان النازيون اليهود قد قتلوا فى أسبوع سابق طفلة صغيرة عمرها أربعة شهور اسمها "إيمان حجو" وأصابوا أمها، فضلا عن أطفال آخرين وأمهات أخريات، وخرجت نساء فلسطين يصحن على

شاشات التلفاز : "وينكم يا عرب" . . "وينكم يا مسلمين" ومعنى الصياح باللغة العربية الفصحى: "أين أنتم يا عرب؟" . . "أين أنتم يا مسلمين؟"، ولكن أحدا من أولئك أو هؤلاء، لم يسمع هذه الصيحات وغيرها؛ لأن القوم مشغولون بمباريات كأس العالم والدورى، وأحدث ألبومات العوالم، وشرائط الغوازى، وغزوات البودى جارد، وصراع أولاد الأغنياء الجدد، وكازينو أريحا، ومفاوضات "المناضل البهائى" مع "كولن باول» حول الاستسلام الفلسطينى للنازية اليهودية

وفى الوقت الذى لا يستطيع فيه الفلسطينيون الدفاع عن أنفسهم، واتخاذ زمام المبادرة لإيلام العدو وإنزال الخسائر به، فإن العمليات الاستشهادية التى يقوم بها المجاهدون الفلسطينيون تظل هى السلاح الأكثر حظا فى تحقيق توازن الرعب لدى النازية اليهودية فى فلسطين. . ولا شك أن انتظار النازيين اليهود لعملية استشهادية يقوم بها مجاهد فلسطينى، سيحقق نتيجة مهمة على الجانبين، فمن ناحية سيجعل للشهادة ثمنا، ويجعل العدو يدرك أنه يدفع ثمنا أيضا أما الشهادة المجانية دون مقابل، فهى تغرى العدو اليهودى النازى بالمزيد من القتل والمزيد من الضرب والمزيد من التدمير.

إن العمليات الاستشهادية هى الطريق الأمثل لبث الرعب فى قلوب النازيين اليهود ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين وهزيمة الآلة العسكرية الجهنمية للنازية اليهودية، وتعويض التخاذل العربى الإسلامى الذى اكتفى بالصمت، أو يحاول استرضاء النازى اليهودى

من أجل التفاوض وقبول الاستسلام الفلسطينى

ليست العمليات الاستشهادية انتحارا أو مساسا بالمدنيين اليهود كما يقول علماء السلطة، وفقهاء الشرطة، فالشهادة قائمة ومتحققة بأمر النازية اليهودية، وليس بأمر الفلسطينيين أو اللبنانيين أو السوريين؛ لأنها تقتلهم فى عقر دارهم وتحولهم إلى شهداء مجانيين، ولا تفرق - كما قلت فى البداية - بين مدنى وعسكرى، أو طفل ورجل، أو شيخ وامرأة؛ إنها تضرب الجميع بلا تمييز، وتحولهم إلى شهداء بلا ثمن، ومن هنا فالسعى إلى الشهادة غير المجانية واجب إسلامى، وجهاد مطلوب يأمر به الدين الحنيف ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة: ١٩٠]، وتصبح المعاملة بالمثل حقا مشروعا بمنطق اليهود النازيين أنفسهم (العين بالعين، والسن بالسن، والطفل بالطفل. . .)، ثم إن الكيان اليهودى الاستعمارى كله قتلة ونازيون متوحشون، لقد جاءوا من شتى أرجاء الأرض ليغتصبوا فلسطين وأرضها، ويخرجوا أهلها، ويبثوا فيها الرعب والخوف والخراب. . فهل هؤلاء مدنيون يحذرنا من قتالهم علماء السلطة وفقهاء الشرطة؟ ثم ألا يعلم الناس فى القارات الستة أن جميع سكان الكيان اليهودى تقريبا تحت السلاح حتى سن الثامنة والخمسين (نهاية الاحتياط) ويذهبون لمدة شهر سنويا إلى معسكرات الجيش للتدريب على السلاح والتزود بأحدث المعلومات العسكرية والخبرات القتالية؟

يا علماء السلطة، يا فقهاء الشرطة: اتقوا الله فيما تقولون، والزموا

الصمت بدلا من أن تكونوا عونا للأعداء على دينكم وأمتكم، وحرضوا شعوبكم على الجهاد حتى تكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وتذكروا منظر الأمهات الفلسطينيات اللائى يصحن فى هلع ورعب من وحشية النازية اليهودية : "وينكم يا عرب.. وينكم يا مسلمين" وترجمتها بالعربية الفصحى: أين أنتم يا عرب؟. أين أنتم يا مسلمين؟ هدانا الله وإياكم.

لا تصدّقوهم

حين أعلن مجرم الحرب "شارون" وقف إطلاق النار من جانب واحد يوم الثلاثاء ٢٢-٥-٢٠٠١، كانت دباباته ومدرعاته وصواريخه تؤكد كذبه، وخداعه، وإصراره على الممارسة النازية الوحشية، إذ لم تمض ساعات قليلة على الإعلان الزائف لمجرم الحرب، حتى كان الجرحى الفلسطينيون يتساقطون بالعشرات، وكانت الدبابات تطلق قذائفها على الشعب الفلسطينى الأعزل، وكانت الجرافات اليهودية تقتلع أشجار الزيتون المعمرة، وكان جنود العدو اليهودى النازى يتوغلون فى قطاع غزة والضفة الغربية.

وقبل إعلان مجرم الحرب "شارون"، كان سفاح قانا يزور موسكو، سعياً لتجميد العلاقات العسكرية بين روسيا من ناحية، وكل من دمشق وطهران من ناحية أخرى، وفى الوقت نفسه كان الكذاب يتحدث عن السلام المزعوم، ويسّوغ ضرب المدنيين الفلسطينيين المسالمين العزّل" بطائرات إف ١٦ الأمريكية، ويتحدث عن وقف "الإرهاب" الفلسطينى حتى يمكن استئناف ما يسميه "مسيرة السلام".

أما الإرهابى "موسى قصاب" - رئيس الكيان النازى اليهودى - فكان يشدّ من أزر سكان المستعمرات القتلة، ويؤلب العالم ضد الفلسطينيين العزل، ويتكلم عن مكافحة "الإرهاب" الفلسطينى، ويتحدث عن "السلام" الذى يجب أن يعمّ "الشرق الأوسط".

وفى كل الأحوال، فإن القادة الإرهابيين للنازية اليهودية، كانوا ينتقدون قرار لجنة المتابعة المشكَّلة من بعض وزراء الخارجية العرب، الذى يقضى بوقف الاتصالات مع العدو اليهودى الاستعمارى فى ظل ممارساته الإجرامية ضد شعبنا الفلسطينى، وقتل أبنائه ومحاصرته مادياً ومعنوياً، وعزل مدنه وقراه عن بعضها البعض؛ لأن ذلك من وجهة نظر النازيين اليهود سيعطل مسيرة السلام

وانشغل العرب والفلسطينيون بما يسمى تقرير لجنة "ميتشيل"، وعده بعضهم أساسًا صالحًا للتفاوض، ووقف المواجهات (أى الانتفاضة)، لأنه اقترح تجميد "المستعمرات" اليهودية. ولكن النازيين اليهود على لسان السفاح "شارون" رفضوا هذا الاقتراح، وقبلوا ما عداه، وهو مجرد توصيفات إنشائية غير كاملة لما حدث منذ ٢٨-٩-٢٠٠٠ فى القدس وفلسطين أى أنهم رفضوه تماماً.

وبعد ثلاثة أيام من انتهاء أعمال لجنة المتابعة العربية التى انعقدت فى القاهرة، وحضرها عشرة وزراء خارجية، و"عمر موسى" - الأمين العام الجديد - كان وزير خارجية موريتانيا، يخرق قرار هذه اللجنة القاضى بمنع الاتصالات مع العدو، ويقف ذليلاً أمام السفاح "شارون"، ويعلن من الوطن الذبيح أنه يجب الكف عن الأحقاد وتأجيج الصراع. وبالطبع لم أفهم ما يعنيه الوزير الموريتانى بالأحقاد وتأجيج الصراع، هل هى أحقاد العرب والمسلمين ضد سادته النازيين اليهود؟ وهل هذه الأحقاد هى التى دفعته إلى الذهاب إليهم كى يبارك لهم استخدام طائرات الفانتوم ضد الشعب الفلسطينى، وقتل

حوالى ستة عشر من أبنائه فى عملية القصف التى لم تحدث منذ عام (الوكسة) الشهيرة فى ١٩٦٧؟ أم أن هذه الأحقاد المزعومة هى التى جعلت الوزير الموريتانى يتحدى أمته العربية والإسلامية، ويذهب إلى النازيين اليهود كى يعتذر إليهم عن بنى قومه، ويطالبهم بالمزيد من تأديب الشعب الفلسطينى الحاقد، وقتل المزيد من أبنائه؟

إنى لا أصدق النازية اليهودية ولا زعماءها، وأيضاً لا أتقبل ما يفعله عرفات ورجاله الأشاوس والنشامى؛ لأنه ليس مجدياً. . لذا أقول لأمتى البائسة وشعوبها المحبطة: لا تصدقوا النازيين اليهود، فهم لن يوقفوا إطلاق النار، ولن يكفوا عن إطلاق القذائف والصواريخ والرصاص. فقط، عليكم أن تصدقوا المجاهدين والاستشهاديين؛ هؤلاء هم الصادقون المخلصون، الذين سيرغمون - بعون الله -النازية اليهودية على التقهقر والاندحار، والانسحاب من القدس وفلسطين، وهؤلاء هم الذين يدافعون بحق عن الشعب الفلسطينى وكرامته وعرضه وشرفه. .

الهرولة نحو الاستسلام

لا أدرى سرًا لهـذه الحملة المحمومة من أجل وقف الانتفاضة، والهرولة نحو الاستسلام لإرادة النازية اليهودية المتوحشة. قيادات فى السلطة الفلسطينية تسارع - بناء على مشورة المبعوث الأمريكى الوقح "وليم بيرنز" - للقاء العدوّ النازى تحت مسمى المباحثات الأمنية أو التنسيق الأمنى، ومع أن هذه القيادات تردد دائماً أن لقاءاتهم مع العدوّ النازى لم تسفر عن شىء، إلا إن هذا العدوُ سعيد بهذه اللقاءات، ويعلن عن هذه السعادة على الملأ . . لماذا؟

حكومات عربية لا تكفّ عن الاتصالات بقيادة النازية الصليبية فى واشنطن، وعواصم أوروبية من أجل تنفيذ توصيات السيد "ميتشيل"، وتخفيف ما يسمى بالعنف - أى الانتفاضة.

وزير خارجية عربية لا يجد غضاضة فى الحديث عن "الأحقاد" المتأججة التى يجب أن تنطفئ، ولا ندرى هل هى أحقاد عربية فلسطينية، أم أحقاد نازية يهودية صليبية؟ لم يقل لنا معاليه أى أحقاد يقصد، ولكنه بالتأكيد يقصد وقف الانتفاضة من أجل الاستسلام للإرادة النازية اليهودية والصليبية معا.

الانتفاضة المباركة فى شهرها التاسع أوشكت أن تلد "الولد المنتظر" الذى سيحرر بإذنه تعالى القدس وفلسطين والأمة العربية والإسلامية جميعاً. . هذا "الولد" الذى سيعيد المشردين واللاجئين،

وسيملأ الأرض العربية والإسلامية عدلاً ونوراً وسماحة وعلماً وأملاً. . هذا "الولد المنتظر" أخذت بشائر مخاضه تملأ الأفق، ولكن البعض يتعامى عنها، ويهرول من أجل الاستسلام للنازية اليهودية والنازية الصليبية، وتأمّلوا معى:

١- أخذ النازيون اليهود يشيعون الجنازات بصورة شبه يومية مثلما يفعل الفلسطينيون، وراحت الدموع فى "العيون الوقحة" تطفح على شاشات التلفزة، بفضل الله، ثم بفضل المجاهدين الاستشهاديين والمقاومين الشجعان على أرض الإسراء. .

٢- تزايد طلب النازيين اليهود لاستخراج جوازات السفر، للهروب إلى أوروبا وأمريكا، بعد أن ملأ الرعب قلوب المجرمين فى فلسطين كلها. ومن أبرز الهاربين حفيدة السفاح "مناحين بيجن" وتدعى "إيلات ليفى" مع زوجها ساوى ليفى، وكانت أختها الصغرى قد سبقتها فى الهروب إلى الولايات المتحدة خوفا على أولادها.

٣- تحركت القيادة النازية الصليبية فى واشنطن، وأرسلت مبعوثاً إلى فلسطين ليوقف الانتفاضة، ويقود السلطة إلى الاستسلام، هذا المبعوث الوقح "وليم بيرنز" خرج من لقائه مع "عرفات" ليقول: إنه طالبه بوقف "الإرهاب الفلسطينى" والعودة إلى التنسيق الأمنى، وبجانب هذا المبعوث الوقح، بدأت سياسة الخطوط الساخنة مع العواصم العربية الفاعلة والطلب منها - سواء بلسان بوش أو باول أو حتى تشينى ومستشارة الأمن القومى والمخابرات الأمريكية المركزية -

وقف الانتفاضة، أو كسر دائرة العنف أو تخفيفه، وبالتالى الاستسلام للإرادة النازية اليهودية الصليبية.

٤- فضلاً عن تحركات الاتحاد الأوروبى المستمرة، أخذت موسكو تدلى بدلوها، وأرسلت السيد "بريماكوف" - رئيس الوزراء الروسى السابق - إلى المنطقة ليعمل من أجل "كسر دائرة العنف" - أى وقف الانتفاضة - والعودة إلى التنسيق الأمنى

٥- قادة العدو النازى اليهودى، السابقون واللاحقون، انتشروا فى شتى أرجاء الأرض للمساعدة على تخفيف العنف "أى وقف الانتفاضة". جاء الإرهابى العجوز "عيزرفايتسمان" إلى مصر فى زيارة خاصة - كما قيل - يوم الخميس الماضى ٣١-٥-٢٠٠١ ليقنع الرئيس مبارك باستقبال الدموى "شارون"، ولكن - فيما يبدو - خاب مسعاه، وذهب نظيره الإرهابى "موسى قصاب" الرئيس الحالى للكيان النازى اليهودى، إلى واشنطن ليحث "بوش" على وقف الانتفاضة، وتأديب الحكومات العربية التى لم تضغط على عرفات لوقف الانتفاضة، وشاطره "بوش" رغبته، ووعده بالعمل والتنفيذ.

٦ - قامت الولايات المتحدة (قيادة النازية الصليبية الاستعمارية، ومعها التابع الاستعمارى القديم بريطانيا) بمطالبة الدول العربية التى تملك قنوات بث فضائية، بالضغط على هذه القنوات كى تهمل الانتفاضة وأخبارها وظهور زعمائها على شاشاتها، حتى ينحسر الاهتمام الشعبى العربى والإسلامى بما يجرى من ممارسات نازية وحشية يقوم بها المستعمرون اليهود وظهيرهم الصليبى.

٧- منذ بدأت انتفاضة الأقصى المباركة، وهى تحقق نصرًا فى مجال آخر، داخل مصر العربية المسلمة، حيث صار السفير النازى اليهودى سجين بيته ومكتبه فى القاهرة، لا يزور ولا يُزار، وقلّت حركة عبور السفن اليهودية فى قناة السويس، وتحدثت الأخبار أن الشهور الثلاثة الأخيرة لم تشهد عبور سفينة يهودية واحدة قادمة من الكيان النازى المتوحش، ثم إن المصريين بفضل الله استطاعوا إخراج الشريك اليهودى النازى من شركة تكرير بترول مصرية، ودفعوا له ما يقرب من خمسة أضعاف ما دفعه، لتكون الشركة مصرية خالصة.

إن تجليات النصر الإلهى قادمة بإذن الله، وستتضاعف مع مطلع كل يوم، فلماذا الهرولة نحو الاستسلام من جانب قيادة السلطة أو القيادات العربية؟ ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

يا شعبنا فى فلسطين . . يا شعوبنا فى كل مكان، خذوا العبرة من "حزب الله" وما فعله مع النازية اليهودية - الصليبية . لقد صبر وصابر ورابط واتقى الله، فكانت النتيجة انتصارًا بفضل الله، وفتحًا مبينًا بعونه تعالى، واندحارًا عظيمًا للنازية اليهودية الصليبية. . دون مفاوضات، ودون مبعوثين مجرمين من أمثال : روس وإنديك وبيرنز، ودون اعتقال لإخوانهم، أو عسف بمواطنيهم، وكان الجهاد المستمر والمتواصل والذكى طريقاً إلى الفرح بنصر الله والفتح.

العملية حبرون وسعيد الحوترى

حبرون تعنى الاسم العبرى لمدينة الخليل بالضفة الغربية المحتلة فى فلسطين المحتلة، والعملية حبرون، اسم رواية صدرت مؤخرا لمؤلف أمريكى كان يعمل فى المخابرات المركزية الأمريكية، وكان له اتصال وعلاقات بالحكومات ورجال الأعمال وتجار السلاح فى بعض العواصم العربية، والرواية - كما عرض لها محمد حسنين هيكل، فى عدد يونيو ٢٠٠١ من مجلة "الكتب: وجهات نظر" - تتحدث عن عملية حملت اسم "حبرون" قام بها جهاز المخابرات اليهودى (الموساد) لتصنيع رئيس الولايات المتحدة فى واشنطن، وتنصيبه فى البيت الأبيض كى يكون رجلها الأول فى الدولة الكبرى حتى تضمن الدولة اليهودية الاستعمارية الانحياز الكامل، والدعم التام من جانب القوة الأولى فى العالم، دون الاعتماد على اللوبى اليهودى ومجلسى "الكونجرس" ورؤساء تحرير الصحف، وقنوات التليفزيون العالمية، ورجال الأعمال وقادة الفكر والثقافة فى الولايات المتحدة.

والمفارقة أن "الموساد" يستعين برجال الأعمال العرب وتجار النفط والسلاح لتمويل حملة انتخاب الرئيس الأمريكى الموالى للكيان اليهودى الاستعمارى فى الوطن السليب، وفى ثنايا الحوارات والأحداث التى تتضمنها الرواية يقول رئيس الموساد: "إن الحاكم العربى الذى يفكر فى رفع رأسه ضد الكيان اليهودى

الاستعمارى سيواجه بإزالة دولته من الوجود بالقنابل النووية" ، وتسهب الرواية التى تمزج الحقيقة بالخيال فى كشف المزيد من فنون المكر والكيد والخداع التى يقوم بها النازيون اليهود من خلال مخابراتهم وعملائهم وبلاهة الجانب العربى وخيبته الكبرى. . ولأن الرواية - حتى قرب نهايتها - توحى بقوة اليهود وجبروتهم الذى لا يقهر، فإن مؤلف الرواية الذى كان يعمل بالمخابرات يهزم هذا الجبروت وتلك القوة من خلال "عاهرة" ضحك عليها رئيس الموساد، ولم يسدد أتعابها بحجة أن مشاركة العاهرة فى العملية "حبرون" كانت لحساب إيران، وعندما تكتشف المرأة خدعة رئيس الموساد، فإنها تنتقم منه، ومعه الرئيس الأمريكى الجديد، بقتلهما والقضاء عليهما.

وبذا تنتهى رواية تكاد تقول إن فلانا وفلانا وفلانا هم المقصودون بالأسماء الرمزية التى استخدمها المؤلف؛ لأنها ببساطة شديدة ترصد الواقع الراهن المرئى بشخوصه وأحداثه وعلاقاته، وهو ما يعنى أن مؤلف الرواية لم يكتبها بقصد التسلية أو طلب الشهرة، ولكنه يقصد إلى غاية كبرى تفضح أجهزة شريرة، ربما كادت له، أو خدعته كما خدعت غيره من العملاء.

وإذا كان البعض فى بلادنا العربية، وفى السلطة الفلسطينية، قد استسلم لليأس وانهار أمام جبروت النازية اليهودية وسيدها النازى الصليبى، فإن البعض الآخر ممن يثقون فى الله، ويؤمنون بمنهج الإسلام وتعاليمه، يرون أن الجبروت النازى اليهودى، وصانعه

الصليبى بالضرورة لا يقفان حائلا ضد الإرادة الإسلامية فى تحرير الوطن السليب، وطرد النازيين الغزاة، وتحقيق الحلم الجميل بإقامة الدولة المستقلة على كامل التراب الفلسطينى وعاصمتها القدس الحبيب.

لقد انهار الجبروت اليهودى والجبروت الصليبى أمام عملية "الدولافين" التى نفذها الشهيد "سعيد الحوترى" فى تل أبيب. لقد لقن الجبابرة درسا لن ينسوه، وأفهمهم أن قتل الشعب الفلسطينى بالطيران الأمريكى، والدبابات الأمريكية، والمدافع الأمريكية، والرصاص الأمريكى، لن يحول دون الرد الفلسطينى المؤثر والفعال بسلاح الشهادة أو الاستشهاد، وهو سلاح يصنعه الإيمان واليقين، ومفعوله يمتد إلى أنحاء الدنيا، فيوقظ الجبناء والمتخاذلين، ويرهب الأشرار والطغاة، ويقول للقادمين إلى الأرض الفلسطينية من يهود العالم: عودوا من حيث أتيتم، لا مكان لكم فى أرض يملكها أصحابها وشعبها الفلسطينى.

يستطيع المجرم "شارون" أن يجند رئيس الولايات المتحدة ووزير خارجيته ومستشارة الأمن القومى ورئيس المخابرات المركزية الأمريكية لإقناع السلطة الفلسطينية - أو إرغامها بمعنى أدق - على وقف الانتفاضة ووأدها، واعتقال المجاهدين والاستشهاديين فى حماس والجهاد الإسلامى، ولكنه لا يستطيع أن يأمن جانب البسطاء من الشعب الفلسطينى، فهؤلاء سيواجهونه أو يواجهون غيره من المجرمين اليهود بالطريقة الاستشهادية نفسها التى نفذها

"سعيد الحوترى" وأهلك بها مجموعة من الأشرار اليهود الذين ذهبوا - بعد استمتاعهم بقتل الفلسطينيين وجرحهم وحصارهم وتجويعهم - إلى ملهى "الدولافين" ليرقصوا ويسكروا ويشربوا نخب التنكيل بالشعب الأسير

إن الشهيد "سعيد الحوترى" إذن يقلب المعادلة بفضل الله، ويمضى إلى الجنة بإذنه تعالى، ويقول للجبابرة اليهود، وسادتهم الصليبيين: الله أكبر من طائراتكم ودباباتكم ومدافعكم وصواريخكم

إن قبول السلطة الفلسطينية لما يسمى "وقف إطلاق النار" دون قيد أو شرط، لن يؤثر - فى يقينى - فى أن الشعب الفلسطينى المؤمن بربه وبالشهادة سينتصر بإذن الله تعالى، طال الزمان أو قصر، وإذا كانت السلطة بفعل نصيحة القيادات العربية، قد رضخت للتهديد اليهودى الصليبى، واستسلمت دون أى مقابل سياسى أو اقتصادى، فاعتقادى يشير إلى أن دماء الشعب الفلسطينى التى قاربت خمسة وعشرين وخمسمائة شهيد حتى الآن لن تضيع هدرًا، ولن تذهب هباءً، بل ستؤسس لمرحلة جديدة تجعل تحرير فلسطين كلها غاية، تسعى الأجيال الجديدة لتحقيقها بإذن الله.

لا عنب اليمن .. ولا بلح الشام

استطاع اليهودى النازى "جورج تينيت" - مدير المخابرات المركزية الأمريكية - إرغام الرئيس "ياسر عرفات" على قبول خطته لوقف انتفاضة الأقصى المباركة أو حرب الاستقلال الفلسطينى، مستخدمًا وعيده وترهيبه - دون وعده وترغيبه - وأنقذ المجرم النازى اليهودى "إرييل شارون" من هزيمة سياسية وعسكرية محققة، كانت ستنزل به بفضل الله، ثم بتضحيات الشهداء الأبرار الذين صنعوا من أنفسهم قنابل بشرية تهز أركان الكيان النازى اليهودى الاستعمارى فى فلسطين السليبة، واستطاع المجرم شارون أن يبرّ بوعده أمام عصاباته النازية اليهودية، وينهى الانتفاضة فى حرب المائة يوم التى أعلنها عقب توليه السلطة فى الكيان الصهيونى الاستعمارى.

كان المراقبون السياسيون يصفون انتفاضة الأقصى أو حرب الاستقلال بعملية "عض الأصابع"، من يصرخ أولاً فهو المهزوم، ومن يصبر ويصابر فهو المنتصر. شعبنا الفلسطينى الأبى كان صابراً ومصابراً، يحتمل الجوع والحصار والخنق وضرب الدبابات والمدفعية والأباتشى والـ إف ٦١. لم يصرخ أولاً، ولم يعلن الاستسلام، كانت بيوته تدمّر، وشهداؤه يتساقطون، وجرحاه يتزايدون، ولكنه كان راسخًا مثل الجبال الشممّ لا يتزحزح ولا يتململ.

كان العدوّ النازى اليهودى المجرم يقطّع أوصال الضفة والقطاع،

ويمنع التواصل بين القرى والمدن، ويغلق المنافذ والموانئ والمطارات ويسدّ الطرقات، ويجرّف الزراعات، ويقهر البشر والشجر، ولكن شعبنا الفلسطينى كان صامدًا مثل الفولاذ، يدفن موتاه وينهض، ويضمد جراحه ويمضى. كانت العروبة من حوله تمرح وتلهو، وكانت بعض الفضائيات تعيش ليالى الأنس والبهجة، وكان بعض العرب يكافئ عدوهم النازى اليهودى والصليبى باستيراد المزيد من بضائعه ومنتجاته، ومنحه المزيد من العقود لإقامة المشروعات الاستراتيجية، وحق التنقيب عن النفط بعشرات المليارات من الدولارات، وضخ المزيد من النفط لتمتلئ خزائنه النفطية عن آخرها عوضًا عن نفط العراق، وكان الشعب الفلسطينى يقتات من خشاش الأرض، وتؤلمه البطالة والحاجة، ومع ذلك ظل وفيًا لدينه وأمته ومقدساته يدفع بها ويدافع عنها "ويواجه أقوى ترسانة عسكرية فى المنطقة فى تصميم المؤمنين وعزة الشهداء.. وكان... وكان...

فجأة يهتز "الختيار" ويصرخ أولا، ويركع أمام تهديد النازية الصليبية اليهودية بلا قيد ولا شرط، وتملأ صرخته آفاق العالم، وتنقلها شاشات التلفزة العالمية التى آثرت أن تنقل المذلة التى رافقت عملية الركوع، وخاصة مشهد اليهودى النازى "جورج تينيت" وهو يضع ساقه فوق ساقه الأخرى، وحذاؤه فى مواجهة محدثه العربى المسلم "الأبى" وكأنّ قواعد "البروتوكول" تم إلغاؤها تمامًا للإمعان فى إذلال الراكعين الساجدين للنازية اليهودية الصليبية.

أقصى ما كانت ستفعله الآلة العسكرية النازية الصهيونية، كان ضرب مقرات السلطة الفلسطينية المحدودة، وتدميرها، وبعدها كان الشعب الفلسطينى سيخرج قويًا وعفيًّا ليقدم المزيد من الاستشهاديين الذين يحوّلون حياة الغزاة القتلة إلى جحيم، ويدفعونهم إلى الرحيل عن الأرض المقدسة، ويحطمون غطرسة المجرم النازى اليهودى "إرييل شارون". ماذا لو ترك "الختيار" ورجاله مكاتب السلطة التى لا تملك من أمرها شيئًا، ولجأ إلى بلد عربى، وترك الشعب الفلسطينى يواجه الغزاة القتلة بمعرفته؟

فى الانتفاضة الأولى وعلى مدى ست أو سبع سنوات، كانت الانتفاضة تسيِّر حياة الفلسطينيين فى الضفة والقطاع بصورة أفضل مما تسيرها به السلطة الفلسطينية الفاسدة. كانت الانتفاضة الأولى تقدم البدائل لحياة الفلسطينيين اليومية فى التعليم والصحة والكهرباء والمواصلات والشئون المختلفة، وكان العدو آنئذ، قد أوقف الخدمات وأغلق المدارس والجامعات، وحاصر الناس فى كل مكان، الفلسطينيون اليوم أقدر من أى يوم آخر على "تدبير منزلهم" ورعاية أنفسهم، ويكفى أنهم سيوفرون ما يدفعونه للسلطة وأزلامها، وقبل ذلك وبعده، يعيشون فى حلٍّ من الالتزام أمام الغزاة القتلة بأى اتفاق يضمن أمن المستوطنين أو جيشهم أو مدنهم.

كانت حركتهم ستكون أكثر نشاطًا وحيوية وتأثيرًا، ولكن استسلام "الختيار" منح الغزاة القتلة فرصة العمر كى يحميهم من

المجاهدين، ويعتقل من أجلهم المجاهدين، ويبيع لحسابهم المجاهدين.. ليس هذا فحسب، ولكنه مطالب بأن يمنع استخدام الحجارة الفلسطينية، ومطالب بأن يمنع الكلام أى كلام، فى الصحافة أو الإذاعة أو التلفزة، يعدّونه تحريضًا على العنف، كى لا يجرح آذان الغزاة القتلة أو مشاعرهم، فى الوقت الذى يجرحون فيه الشعب الفلسطينى، ويقتلونه، ويصوبون مدافعهم نحو بيوت السكان العزّل فيقتلون النساء والأطفال والرجال دون أن يهتز لهم جفن

ترى: لماذا صرخ "الختيار" أولاً؟ ولماذا ركع سريعًا؟ ونسى قوله تعالى: ﴿ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء: ١٠٤].

غوشة يا غوشة.. يا حبة عينى

سمعت صديقى يتمتم وكأنه يغنى فى حزن : "غوشة.. يا غوشة.. يا حبة عينى"، قلت له: هل تغنى؟ فقال: لا.. بل أبكى. ثم أردف: تذكرت مشهدا صوره الأديب الراحل "نجيب الكيلانى" فى روايته المؤلمة "رحلة إلى الله"، حيث أرغم المعتقلون فى السجن الحربى على الغناء لكلبة الجلاد الأكبر، وكان اسمها "لايكا"، وكانت تحظى بحبه ورعايته؛ لأنها تخصصت فى نهش المعتقلين وتأديبهم عندما يعجز الجنود أو يتعبون، كان المعتقلون من صفوة المجتمع وبسطائه، وكان الجلاد الأكبر -إمعانا فى إذلالهم- يطلب من جنوده استخدام السياط حتى يغنى المعتقلون: "لايكا يا لايكا.. يا حبة عينى" لم يتوقف تعذيب المعتقلين إلا بعد هزيمة ١٩٦٧، وكان الجلاد الأكبر وأشباهه محط احتقار الأمة من الخليج إلى المحيط؛ لأنهم كانوا من أبرز رموزها.

ردد صديقى الأغنية، حزنا وليس طربا، على المجاهد "إبراهيم غوشة" - الناطق الرسمى باسم منظمة المقاومة الإسلامية "حماس"- حيث يقبع - حتى ساعة كتابة هذه السطور - منذ أسبوع، فى مطار "عالية" بالعاصمة الأردنية عمان، ممنوعا من دخول بلده ولقاء أولاده وزوجه، بتهمة الانتماء إلى منظمة فلسطينية تواجه العدو النازى اليهودى. المسئولون فى الأردن يرفضون دخوله إلى بلده قبل أن يعلن استقالته من حماس، وقادة حماس يرفضون

هذه الاستقالة لو حدثت، وتدخلت بعض الدول العربية للوساطة بين الحكومة الأردنية ومنظمة حماس، وأبدت بعض العواصم العربية استعدادها لاستقبال "غوشة" وحل المشكلة. وفى الوقت ذاته تبادلت الأردن وقطر الاتهامات حول طريقة وصول "إبراهيم غوشة" إلى مطار عالية بالأردن، وشنت الصحف الموالية لحكومة عمان حملات ضارية على قطر، تناولت أشخاص مسئوليها لدرجة وصف وزير الخارجية القطرى بأنه موال للعدو؛ لأنه متزوج من يهودية، ويقف من وراء استمرار المكتب التجارى للعدو؛ فى الدوحة، مخالفا بذلك قرارات مؤتمر القمة العربية والإسلامية.

وتبارى بعض المسئولين الأردنيين فى الإعلان عن إصرارهم على طرد "إبراهيم غوشة" وعدم دخوله عمان حتى يتوب إلى الله ويندم على انتمائه إلى "حماس" وقال وزير اسمه "القلاب" بصوت ثائر متهدج: لا بد أن يعلن "غوشة" عن توبته من انتمائه إلى "حماس" فى الماضى والحاضر والمستقبل.

العالم كله - على مدى الأيام الماضية - يتابع الملهاة المأساة التى يعيشها العرب والمسلمون؛ لأن مواطنا عربيا مسلما ممنوع من دخول بلده التى يحمل جنسيتها منذ ستين عاما، ولا يستطيع مقابلة أبنائه وزوجه، فضلا عن محامه الذى يدافع عنه، ثم إنه يقبع فى المطار مع تدهور حالته الصحية، ومناشدات كثيرة توجه إلى العاهل الأردنى الشاب أن يتدخل ويأمر بحل المشكلة ودخول مواطن أردنى إلى بيته وأهله.. وحتى الآن لم يظهر فى الأفق بصيص أمل، وكما تحتجز

الأردن "غوشة" فى المطار فإنها تحتجز الطائرة القطرية التى أقلته وطاقمها الملاحى، وترفض الإفراج عن الطائرة والطاقم ما لم يحملوا معهم المواطن الأردنى "إبراهيم غوشة" - الناطق الرسمى باسم "حماس".

والمفارقة فى الملهاة المأساة، لا تتعلق بمنع مواطن من دخول وطنه، ولكنها تكمن فى السماح لأفراد العدو الشرير ورجال مخابراته (الموساد) بالدخول السهل والسلس إلى عمان العربية المسلمة مع الترحيب والتحية، ومعروف فى كل الدنيا أن الموساد وأفراد العدو الشرير، لا يدخلون عمان والمدن الأردنية الأخرى للسياحة أو النزهة، ولكنهم يدخلون لجمع المعلومات، وتدبير المؤامرات، وتجنيد العملاء وإثارة الفتن والمشكلات.

جريمة "إبراهيم غوشة"، أو منظمة "حماس" هى مقاومة العدو النازى اليهودى. وهو ليس عدوا للفلسطينيين وحدهم، ولكنه عدو للعرب والمسلمين والناس أجمعين، ومنهم أهل الأردن، بل إنه يضع الأردن ضمن حلمه الشرير الذى يسعى إلى تحقيقه بإقامة أرض الميعاد من النيل إلى الفرات، والأردن - عادة- هو المحط الأول الذى يتخفف فيه العدو من أثقاله، أعنى الفلسطينيين الذين يطردهم من أرضهم وديارهم فيلقيهم هناك عبئا على الأردن وإمكاناته.. وكان المنطق أن يقف الأردن من وراء حماس يدعمها ويساعدها ويمدها بالسلاح والعتاد حتى يعود المجرمون اليهود من حيث أتوا، وتتحرر الأرض المقدسة والعاصمة المقدسة، ولكن الأردن يفعل العكس

ويأخذ بوجهة النظر اليهودية الشريرة، ويحارب حماس والمنتمين إليها مع أنهم قوة للأردن وحكومة الأردن.

وفى تصورى أن الملهاة المأساة التى صنعها احتجاز "غوشة" فى مطار عالية بالأردن، هى مجرد فصل من ملهاة مأساة ممتدة على مساحة الوطن العربى والإسلامى، حيث يعيش المواطن - والوصف فيه تجاوز لأنه أقل من مواطن - أسيرا لحكومات تخشى اليهود الأشرار، أكثر من خشية الله، وتعيش هى رهينة للإرادة اليهودية الشريرة، فتصادر الحريات، وتقتل الأمل فى النفوس، وتقمع البشر بمقامع من حديد، وتنزع من مواطنيها مكونات المقاومة والوجود الفعال، ولا تبالى فى سبيل ذلك باتخاذ أية وسيلة، ولو كانت بشعة أو شنيعة أو قبيحة.. لذا رسخت الهزيمة فى القلوب والصدور، وخدمت العدو الشرير خدمة عظيمة مجانية دون مقابل، مع أن "حماس" زلزلت كيانه بفضل الله، وجعلته يعرف الذعر والخوف، وصيّرته قابلا للهزيمة، بعد أن خدع الحكومات العربية والإسلامية وأوهمها أنه من المنتصرين دائما.

أما كان من الأولى لحكومة الأردن الشقيق، وفى ظل الإجرام اليهودى النازى ضد الشعب الفلسطينى، أن تأمر بإعادة المنفيين جميعا من حركة "حماس" وتحتضنهم، على الأقل، تعبيرا عن سيادتها أو كرامتها التى استباحها "الموساد" ذات يوم حين أراد قتل "خالد مشعل"؟

الوفاء العربى للنازية اليهودية

كيف أسمح لنفسى بالحديث عن "وفاء" عربى للنازية اليهودية؟ وهل يمكن أن يحدث حقًا وفاء عربى للنازية اليهودية التى تقوم بإبادة الشعب الفلسطينى وتهجيره وخنقه بالحصار والتجويع ورفض إسعاف الجرحى والمصابين والمرضى؟

الحقيقة أن الوفاء العربى للنازية اليهودية موجود وقائم بأعمق مما نتصور ونتخيل وهو وفاء تقوم به حتى لو لم تقصد الحكومات العربية وبعض المرتزقة والأفاقين من المطبّعين أو أحباب اليهود فى العالم العربى، وكلهم باحث عن مصلحة شخصية أو منفعة ذاتية تبدأ من الحرص على وظيفة صغيرة أو منصب متواضع حتى الحلم بجائزة ثقافية أوروبية أو أجنبية من الدرجة الأولى أو الدرجة العاشرة.

ولم تكن معظم الصراعات داخل الدول العربية فى مجموعها إلا تجليًا من تجليات الوفاء العربى للنازية اليهودية ودعمها وتقويتها واستقرارها. وما كانت الخلافات بين الحكومات العربية وشعوبها إلا من أجل الوفاء للنازية اليهودية وإضفاء الشرعية العربية عليها، فى الوقت الذى وظفت فيه النازية اليهودية صراعات طوائفها وخلافات أحزابها لإضعاف العرب وتمزيقهم، وبث الفرقة بين حكوماتهم وشعوبهم

لقد فرضت النازية اليهودية - بدعم من النازية الصليبية - على

الحكومات العربية أن تكافح المقاومة العربية لوجودها الظالم وسلوكها الوحشى تحت دعاوى مكافحة التطرف والإرهاب والعنف، وركزت فى هذا السياق على "الإسلام" بوصفه منبع المقاومة التى تتجلى فى "الجهاد" ، فكانت المحادثات السرّية والعلنية بين النازية اليهودية، والأطراف العربية، والمعاهدات الضمنية والعلنية بين الكيان النازى اليهودى والحكومات العربية، تؤكد ضرورة مكافحة المقاومة العربية المتمثلة فى التصوّر الإسلامى للجهاد.

واستطاعت النازية اليهودية بدعم النازية الصليبية أن تقنع معظم الحكومات العربية والنخبة المثقفة العربية بأن الإسلام هو العدوّ المبين للديمقراطية والحرية والسلام والاستقرار، ومن هنا كان التشابه أو التطابق بين الخطاب النازى اليهودى والخطاب النازى الصليبى من ناحية، والخطاب الحكومى والثقافى فى العالم العربى من ناحية أخرى. كلاهما يرى الإسلام تطرفًا، والجهاد إرهابًا، والمطالبة بالحرية شغبًا وانحرافًا. . . ولم يعد سرًا خافيًا أن النازية اليهودية والنازية الصليبية تدعمان بقوة الأنظمة المستبدة فى بلاد العرب وتحافظان عليها، فى الوقت الذى صارت فيه أكثر الدول تخلّفًا فى العالم - حتى جمهوريات الموز - تتمتع بحرّية حقيقية، وتمارس ديمقراطية فعّالة، وتعبر عن هويتها بصورة مطابقة لما تملكه من تراث وثروة، وتحلم به من مستقبل وأمل.

ومن مظاهر الوفاء العربى للنازية اليهودية وداعمها الصليبى أن السجون فى معظم الأقطار العربية تغص بأولئك المهمومين بالحق

العربى الإسلامى فى فلسطين وقدسها الشريف، ومن مظاهر الوفاء العربى للنازية اليهودية وداعمها الصليبى محاصرة الإسلام ومحاولة استئصاله فى الحياة والتعليم والاقتصاد والثقافة والإبداع والتاريخ والمستقبل.

ومن مظاهر الوفاء العربى للنازية اليهودية وداعمها الصليبى، التفريط فى الثروات القومية وعلى رأسها الكوادر البشرية المتفوقة، والمعادن الاستراتيجية وعلى رأسها البترول، والسيادة الوطنية بفتح المجال أمام القوات الصليبية لتسرح وتمرح على الأرض والشواطئ والبحار، وتقتل من تشاء من الأشقاء العرب، وتهدد من تشاء من الأشقاء المسلمين.

ومن مظاهر الوفاء العربى للنازية اليهودية وداعمها الصليبى، الاستماع إلى ما يقوله قادة النازية الصليبية اليهودية، وعدّه "تنزيلاً من التنزيل"، وتنفيذه حرفيًا، أو تصديقه حتى لو كان الكذب يطفح من جوانبه، وأبرز الأمثلة على ذلك، ما يردده هؤلاء القادة عن السلام وحقوق الإنسان والشرعية الدولية وغيرها، وكلها مصطلحات لا وجود لها فى واقع الأمر، فالذى لا يملك القوة لا يستطيع أن يحقق السلام، ولا يمكن أن يحمى حقوق الإنسان، ولا يقدر على تسخير الشرعية الدولية للتسليم بحقوقه، ولكم فى فلسطين والشيشان والبوسنة وكوسوفا وكشمير ومقدونيا والفلبين وغيرها أوضح الأمثلة على كذب مصطلحات النازية الصليبية اليهودية.

ومن مظاهر الوفاء العربى للنازية اليهودية الصليبية بعض ما جرى

فى الأيام الماضية، وهو قليل من كثير:

* محكمة مصرية تلغى قرار مجلس تأديب فى إحدى الجامعات بفصل بعض الطلاب الذين تظاهروا ضد إجرام النازية اليهودية فى فلسطين المحتلة؛ لأن الأساس أن يرفض الناس ممارسات الاحتلال اليهودى.

* منع إبراهيم غوشة - الناطق باسم حماس - من دخول بلده حتى يتوب عن الانتماء للمقاومة الإسلامية.

* ضرب المتظاهرين فى الأردن وإطلاق النار عليهم؛ لأنهم أرادوا التعبير عن التضامن مع الشعب الفلسطينى فى مقاومته للنازية اليهودية.

* إلغاء مظاهرة لأربعة ملايين متظاهر مغربى أعدت لها الأحزاب والجمعيات فى المغرب تضامنًا مع شعبنا الأسير فى فلسطين بحجة أن الظروف غير ملائمة.

ما رأيكم فى الوفاء العربى للنازية اليهودية، والنازية الصليبية معًا؟

عبقرية الكذب النازى اليهودى

كان "جوبلز" - وزير الدعاية الألمانى - فى حكومة "هتلر" النازية، يؤمن بأن الإلحاح على الكذب يجعل الناس فى النهاية يصدقون الكذب، ويحملونه محمل البدهيات التى لا تقبل الشك أو التأويل، وهذا هو ما يفعله اليهود النازيون فى فلسطين المحتلة منذ أن وضعوا أقدامهم على أرضها تنفيذًا لمقررات هرتزل فى مؤتمر بال بسويسرا أواخر القرن التاسع عشر . . اليهود النازيون يكذبون على الله والتاريخ والجغرافيا والمجتمع، ولا يخجلون من كذبهم، ولا يستحون من الخداع والتزييف، وهم يكذبون بدأب وإصرار، ولا يملون من ترديد أكاذيبهم فى صور شتى، ولعل أبرز هذه الصور هو خلط الحق بالباطل حتى يكون لكذبهم أساس من الحقيقة، تلك أخطر صور الكذب، التى أشار إليها القرآن الكريم، وهى فى الوقت ذاته إشارة تثبت إعجاز القرآن من الناحية التاريخية والنفسية.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٤٢]، والآية الكريمة تتحدث عن خصيصة نفسية وخلقية تميز بها اليهود الأوائل، وهى إلباس الحق بالباطل وكتمان الحق وهم يعلمون، وكان النهى الإلهى لهم رحمة بهم، وأخذًا بأيديهم إلى الطريق المستقيم.

ولكنهم لم يسمعوا ولم يطيعوا، ولم يتناهوا عن هذا المنكر، حتى كانت مصائرهم فى الدنيا عبرة لمن يعتبر، ومن المؤكد أن اليهود

الأواخر لم يعتبروا، حين تحالفوا مع "هتلر" وصنعوا معه وله "عالمًا" من الكذب، كان هو أول من احترق بناره، فانقلب عليهم، ولكنهم لم يتوبوا عن الكذب، وراحوا يكذبون على الدنيا كلها ويقولون: نحن نريد السلام، وألحوا على مقولتهم حتى صدّقها بعض العرب والمسلمين، واليوم، وفى خضم الحديث عن وقف الانتفاضة أو وأد الانتفاضة، يتحدث الإرهابى السفاح "إرييل شارون" عما يسمى "الدفاع الفعّال عن النفس".

ويقرّر مع زعماء العصابات النازية اليهودية اغتيال ٢٦ من مجاهدى فلسطين، فضلاً عن تدمير البيوت، وقتل الأبرياء بالقصف اليومى الذى تقوم به طائرات الأباتشى الأمريكية والدبابات الأمريكية والرشاشات والمدافع الأمريكية .. هذا "الدفاع الفعال عن النفس" يردفه بمصطلح بغيض وكريه يسميه السفاح "ضبط النفس"، وتردد الآلة الدعائية الصليبية ما يقوله السفاح دون أن تتذكر شيئًا اسمه وقف إطلاق النار (١/ ٢ وأد الانتفاضة) ويصير الدفاع الفعال عن النفس، وضبط النفس مزيدًا من الشهداء الفلسطينيين والجرحى الفلسطينيين، وتدمير الزرع وهدم البيت، وتشيد الآلة الدعائية الصليبية بموقف السفاح الذى يدافع عن نفسه ويضبط نفسه، وتنتظر من الإرهابيين الفلسطينيين!! أن يكفوا عن التحريض ضد دولة الاحتلال حتى لا يخرج السفاح عن "ضبط النفس" ويمارس المزيد من القتل والتدمير ولا أدرى ماذا سيفعل السفاح بعد أن استخدم الفانتوم ١٦ بالإضافة إلى الأسلحة الفتاكة السابقة؟ هل سيستخدم

القنابل الذرية والنووية التى ينتجها فى ديمونة وغيرها؟ لم يبق إلا تلك القنابل حتى الآن دون استخدام . . فهل سيفعل؟

عبقرية الكذب النازى اليهودى، تدعم المصطلحات الكاذبة بمقولات من جنسها، من عينة قتل النشطاء (المجاهدين) ضرورة حيوية لتبريد الموقف!، واعتقال النشطاء من حماس والجهاد ضرورة لمواجهة الإرهاب! ووقف التحريض فى الإذاعة الفلسطينية والتليفزيون الفلسطينى لعدم خرق وقف إطلاق النار!.

كلما تجلّت عبقرية الكذب النازى اليهودى، تجلّى استسلام السلطة الفلسطينية الإدارية المحدودة، فى الاستجابة لرغبات النازية اليهودية، وضيق على المجاهدين وأبطال انتفاضة الأقصى المباركة للتحرير والاستقلال، وقدمت هداياها دون مقابل للعدوّ النازى اليهودى، وقبلت بالتنسيق الأمنى الذى تقوده المخابرات المركزية الأمريكية، وأطلقت مبادرات الاستسلام بحجة عدم انتظار ما يفعله الآخرون.

بين عبقرية الكذب النازى اليهودى، واستسلام السلطة الفلسطينية، يذهب دم الشهداء هدرًا، وتتميع القضية، ويزداد العدوّ اليهودى صلفًا وغطرسة وعدوانية. وإذا كان قادة السلطة الفلسطينية الإدارية المحدودة، يعتقدون أن الإدارة الصليبية فى أمريكا يمكن أن تتحرك وتحقق لهم شيئًا، فهم واهمون؛ لأن هذه الإدارة هى العدو الذى يملك ٩٩٪ من أوراق العدوان والتخطيط لتمزيق الأمة وسلب خيراتها وتثبيت وجود الكيان النازى اليهودى فى فلسطين، والكيانات الطائفية المتوقعة فى أماكن أخرى . . إن هذه الإدارة المجرمة لا تفقه

- ومعها النازية اليهودية - غير لغة واحدة يسمّونها "لغة القوة"، ويسمّيها المسلمون: "الجهاد"، وقد استخدم "حزب الله" لغة الجهاد فأخرج القوات النازية اليهودية من جنوب لبنان مدحورة تجرّ أذيال الخيبة والهزيمة دون مفاوضات ودون مبادرات، ودون دور أمريكى أو أوروبى أو روسى أو صينى أو جنوب أفريقى . . القوة هى منهج النازية الصليبية واليهودية، ولا يغيّر هذا المنهج سوى منهج مماثل، والمنهج المماثل هو "الشهادة" التى تزلزل كيان العدوان، وتبث الرعب والذعر فى نفوس أفراده القتلة، وتؤكد لهم أن البقاء فى وطن ليس لهم سيكلفهم الكثير مهما برعت عبقرية الكذب النازى اليهودى فى الادعاء والتزييف والتزوير.

إن أمريكا وأوروبا وروسيا تستقبل السفاح شارون استقبال الأبطال، وتتعامل معه بودّ ورقّة وحميميّة زائدة عن الحد، فماذا ينتظر قادة السلطة الفلسطينية الإدارية المحدودة؟ لقد حاكمت أمريكا سفاح الصرب "سلوبودان ميلوسيفتش" لأنه تمرّد عليها، وخرج على طاعتها، ولكنها تكافئ سفاح اليهود "إريل شارون" لأنه يحقق مطالبها، ويدافع عن مصالحها، والمظلومون مستسلمون خانعون، يكتفون بتقديم مبادرات الاستسلام، والبكاء بين يدى المجتمع الدولى (النازى الصليبى). يا قادة السلطة: جاهدوا أو ارحلوا.

تحية للرجال

هذا عنوان سيئ السمعة وضعه "محمد حسنين هيكل" ذات يوم على رأس مقالة له فى جريدة "الأهرام" قبل حرب رمضان، فأثار لغطا كثيرا، واستياءً عظيمًا فى شتى أفرع القوات المسلحة المصرية، وعدَّه بعضهم تثبيطًا للهمم، واستهانة بقدرة جنود الجيش المصرى وعزيمتهم فى التصدى لقوات العدو النازى اليهودى وحصن بارليف الذى أقامه على الضفة الشرقية لقناة السويس، وقيل يومها إنه يحتاج - وفقا لنظرية روسية - إلى ثلاث قنابل ذرية لتحطيمه، أو التضحية بثلاثمائة ألف رجل من القوات المصرية المهاجمة وجاءت الأحداث فى حرب رمضان المباركة لتدحض النظرية الروسية.

ويثبت الرجال المصريون أنهم بفضل الله تفوقوا على خط بارليف والقنابل الذرية الثلاث، ولم يخسروا العدد التقريبى المطلوب التضحية به، بل إن تحطيم الخط فى يوم العبور لم يكلف الجيش إلا رجال قلائل أقل من مائة، استشهدوا بحكم سقوطهم تحت ركام الأتربة التى انهارت بفعل المياه المندفعة من الخراطيم الموصولة بمياه القناة.

نحن اليوم نحيى رجال الجهاد فى فلسطين، ليس على طريقة "هيكل"، وإنما على طريقة المفهوم الإسلامى الذى يوجب المواجهة مع العدو النازى اليهودى المتوحش، الذى يملك أحدث الأسلحة التى أنتجتها القيادة الصليبية فى العالم (الولايات المتحدة)، ويحظى

بدعمها غير المحدود سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا ودعائيا.

رجال الجهاد فى فلسطين، وكل أهلها - رجالا ونساء - من المجاهدين، يقدمون اليوم أروع الأمثلة والبطولات فى مواجهة اليهود القتلة، فى الوقت الذى تفرض فيه الحكومات العربية والإسلامية، حتى الحكومات التى يحتل العدو أراضيها، أسوأ ما عرفته الدنيا من عبودية واسترقاق على شعوبها، فضلا عن حكمها بالحديد والنار، وتعين العدو النازى اليهودى - ولو ضمنا - على التمادى فى إجرامه وانتهاكاته لحقوق الإنسان الفلسطينى وقتله داخل بيته، بل وهدم هذا البيت جهارا نهارا على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، ثم يتبع ذلك بالدبابات والجرافات للتخريب والتدمير وملاحقة الشعب الأعزل الأسير.

إننا نحن التعساء، خارج فلسطين، لا نملك إلا أن نوجه لهؤلاء الرجال الأبطال -وكل الشعب الفلسطينى بطل - دعاءً قلبيًا بأن يثبتهم الله على الحق، وأن يرعاهم فى غيبة الحكام العرب والمسلمين ودعمهم لليهود القتلة، وأن يمنحهم الطاقة على المقاومة فى ظل الحصار اليهودى البشع، والملاحقة النازية الوحشية، فهم يعلمون أن الله وحده هو الذى يسندهم، ويعلم حقيقة المحنة التى يعيشونها، ويعرف ما يدبره الأعداء المجرمون وخدامهم هنا وهناك من كيد ومكر وإجرام.

نحييكم أيها الرجال الشجعان الذين لم يلتفتوا إلى أكاذيب العالم وأكاذيب اليهود، وثرثرة السلطة المحدودة عن المفاوضات وخطة

ميتشيل وأيام التهدئة وأيام التبرير، ولقاء بيريز، وابن شارون، ويوسى بيلين، والمناضل البهائى، والثورى صاحب الملايين، وأصحاب الوجوه الصفيقة، وأقطاب التنسيق الأمنى تحت راية المخابرات المركزية الأمريكية.

نحييكم يا أهل فلسطين يا من فوّتم على العدو النازى اليهودى وداعمه الصليبى عملية وقف انتفاضة الأقصى وحرب الاستقلال. صحيح أن الأشرار قهروكم بعض الشيء حين حرموكم من العمليات الاستشهادية داخل الخط الأخضر، وحين حاولوا أو نفذوا اغتيال مجاهديكم أو خطفهم، ولكنكم بإصراركم على السير فى طريق التحرير وفقا لإمكاناتكم والسعى الدءوب نحو تحقيق توازن الرعب، تستحقون منا نحن العبيد البائسين كل تحية معطرة بمسك المودة والرغبة الحميمة فى مشاركتكم الجهاد والإسهام فى تضميد جراحكم، ومواساتكم، ولكننا - أيها الأحبة - ممنوعون مقهورون مسترقون تتربص بنا الحكومات العربية المسلمة قبل حكومة العدو النازية المتوحشة

نحييكم يا أهل فلسطين، وكلكم مجاهد، فقد أثبتم للعالم أن الطفل الفلسطينى الأعزل لا يخشى الجندى اليهودى المدجج، وبهذه الروح الشجاعة ستحققون النصر بإذن الله، شريطة ألا تلتفتوا إلى سولانا ولا بيرنز ولا تينت ولا إندك ولا دينيس روس، ولا باول ولا يوشكا فيشر ولا المبعوث البريطانى أو المبعوث الأمريكى، فكل هؤلاء خدام للنازية الصليبية وربيبتها النازية اليهودية. افعلوا كما فعل

ويفعل حزب الله فى لبنان، حين يواجه المجرمين اليهود، وحين يواجه خدامهم من الخونة المارون وأشباههم.

الجهاد الواعى الصابر هو الطريق للحرية والتحرير، دون تفاوض ودون اتفاقيات لا تنفذ، ولأن المجرم شارون يعتزم استقدام مليون يهودى إلى أرض فلسطين المقدسة، فإن جهادكم سيرغم مليونا وربما أكثر من اليهود القتلة على الرحيل والخروج من أرضنا وبلادنا والعودة إلى بيوتهم فى أمريكا وروسيا وأوروبا، فما زالت معهم مفاتيحها، وهذه خطوة لعودة أهل فلسطين المهجَّرين إلى مدنهم وقراهم وبيوتهم، فما زالت معهم - أيضا - مفاتيحها التى يحتفظون بها منذ عام ١٩٤٨ و١٩٦٧، ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾. وتحية للرجال فى فلسطين وجنوب لبنان حتى يأتى نصر الله والفتح.

رجل لا يعرف سوى القتل

من المفارقات التى تسود حياة العرب المسلمين أن "المبادرة" عندهم تعنى الاستسلام وتقديم المزيد من التنازلات، أما المبادرة لدى العدو النازى اليهودى فهى المزيد من التشدّد وطلب الكثير من الامتيازات. لم يغال الرئيس مبارك حين وصف مجرم الحرب شارون بأنه "رجل لا يعرف سوى القتل" وأن حكومته لا تريد حلا سياسيا ولن تصنع السلام ولعل ما قاله الرئيس ينبّه الأشاوس والنشامى من أبطال الكلام عن "الاحتفاظ بحق الرد على العدوّ فى الزمان والمكان المناسبين" إلى أن يدركوا أن كلامهم التليفزيونى وأمام الصحافة لن يقنع العرب والمسلمين بجدية كلامهم وتصريحاتهم. لقد أُهينت حكومات عربية وجيوش عربية من العدو اليهودى مرارًا وتكرارًا، سواء بالقصف الجوّى بصواريخ الطائرات أو تدمير المواقع العسكرية، وما زلنا نسمع عن الاحتفاظ بحق الرد من زمان بعيد . . فإلى متى ننتظر أن يتحقق هذا الرد على أرض الواقع.

ومن أعجب العجب أن وزير دفاع دولة عربية أرضها محتلّة بقوات العدو النازى اليهودى، يغضب من مقال نشرته صحيفة مصرية رأى فيه مساسًا بذاته المصونة، فيكتب للصحيفة على الفور، ويتباهى بماضيه وبمؤلفاته، وفى الوقت ذاته لا يغضب لوطنه وجيشه الذى أُهين على الملأ من جانب طيران العدو أكثر من مرة، ولم ينهض مسرعًا مثلما نهض للرد على الصحيفة كى يُنزل بالعدو خسائر

تساوى على الأقل الخسائر التى نزلت بجيشه الذى يقوده ويدرّبه ويزوده بالسلاح.

وما زلنا نسمع ونشنّف الآذان بالمعزوفة السمجة التى يردّدها هذا المسئول أو ذاك عن "الاحتفاظ بحق الردّ" .. وتسألهم: متى؟ فلا يجيبون؛ لأنهم يردّون على شعوبهم فقط حين تتململ من القيود والسدود، أو حين تتناولهم الصحف بما لا يحبون.

ومع ذلك فإن المقاومة الإسلامية فى جنوب لبنان وفلسطين، هى التى تحتفظ بحق الرد فعلاً وواقعًا، دون أن تتكلم أو تصرح، وتضرب العدو على أم رأسه حين يقوم بعملياته الإجرامية ضد المدنيين، فحزب الله علّم اليهود النازيين أن ضرباته لا تمرّ بسلام وصمت، وأن جيشه وسكان المستعمرات يدفعون ثمن جرائمه، ويعرفون أن "الكاتيوشا" علاج ناجح وفعال لتجليات الوحشية اليهودية - أما منظمة حماس ومنظمة الجهاد الإسلامى، فكلاهما يقتحم قدس أقداس العدو، ويعلمه أن الحياة الآمنة بعيدة عن واقعه وعن مستقبله. لذا فإن "الرجل الذى لا يعرف سوى القتل" يعمل ألف حساب للمقاومة الإسلامية الظافرة فى جنوب لبنان وفلسطين، ولا يلقى بالاً لما يقوله وزير الدفاع العربى النرجسى، وأمثاله، عن "الاحتفاظ بحق الرد" الذى لا يتحقق أبدًا.

إن "الرجل الذى لا يعرف سوى القتل" له مبادئ وعقيدة تتمثل فى قهر أعدائه المسلمين وإذلالهم، وعدم الإصغاء لما يسمى بالضمير الإنسانى أو السلوك الخلقى أو القانون الدولى، وهو ليس وحيدًا بين

قومه فى هذا المجال، ولكنه يعبّر عن جموعهم التى تربت أو تثقفت على اغتيال الكرامة الإنسانية للعرب والمسلمين، وسلب ما يمتلكون، والتنكيل بهم فى كل مناسبة ممكنة . .

ومع ذلك فإن هناك من بنى قومه من لا يعجبه سلوكه المتردّد، وسياسته غير الحازمة! لقد كتب "مناحم بن" فى جريدة "معاريف" اليهودية يقول: "مثلما حدث فى عهد الانتظار لحرب الأيام الستة عندما أدى تعيين موشيه ديان وزيرًا للدفاع بضغط من الشعب إلى الانتصار الحاسم، فهذا هو الحال الآن أيضًا، فإنه فقط بتعيين بنيامين نتنياهو وزيرًا للدفاع بدلاً من بن إليعازر الفاشل، وتعيين دان مريدور وزيرًا للخارجية بدلاً من شيمون بيريز الأب الروحى لكارثة أوسلو. إن هذين فقط سيقودان إلى حرب النصر التى بدونها لن تكون لنا حياة هنا".

ويواصل "مناحم بن" انتقاده لسياسة "الرجل الذى لا يعرف سوى القتل" ووزرائه ويدعو إلى حرب شرسة تبدأ بالقضاء على السلطة المحدودة ورجالها وسلاحها ثم يقول: "إن الحرب الوقائية من جانبنا تنطوى على مخاطر جسيمة بل وربما وجودية (تتعلق بالوجود)، لكن دون أن نكون مستعدين للقتال وربما الموت فى هذه الحرب (العادلة)، فإنه لا يمكننا أن ننتصر، ولن نتمكن من العيش فى نهاية المطاف. . " (الأهرام ١٣-٧-٢٠٠١).

إن مناحم بن، يعبر عن أغلبية ساحقة فى الكيان النازى اليهودى تؤمن بالحرب خيارًا وحيدًا استراتيجيا للبقاء والوجود والقضاء على

"الأغيار" الذين هم نحن العرب والمسلمين، ومع ذلك تحلم السلطة المحدودة ومعها الحكومات العربية بأن يتنازل النازيون اليهود ويجلسوا معهم ويتفاوضوا ويمنحوهم بعض الأراضى ودولة فلسطينية هزيلة .. ولكن "الرجل الذى لا يعرف سوى القتل" لا يحقق لهم هذا الحلم ولن يحققه، طالما ظلوا يهتفون بالاحتفاظ بحق الردّ دون تنفيذه على أرض الواقع.

من المحزن أن يهتم وزير دفاع عربى بالصليبية الصهيونية "بريجيت باردو" ويكتب فيها شعرًا، دون أن يشغله الردّ على إجرام العدو النازى اليهودى فى حق شعبه ووطنه وجيشه والعرب والمسلمين، ودون أن يفكر فى إجراء حقيقى يجعل "الرجل الذى لا يعرف سوى القتل" يعرف شيئًا آخر اسمه احترام الكرامة العربية الإسلامية ولله فى خلقه شئون.

ولا يُعزينا أحد

قدم السيد "خافيير سولانا" - الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبى - واجب العزاء فى قتل بعض المستعمرين اليهود للحكومة النازية اليهودية، وأبدى مشاعر الأسى والأسف على مصرع القتيل النازى اليهودى، والسيد سولانا يقوم بدور الوساطة بين النازيين اليهود من ناحية والفلسطينيين والعرب من ناحية أخرى بهدف وقف الانتفاضة المباركة ووأد حرب الاستقلال الفلسطينية، ويشاركه فى هذا الهدف جمع غفير من الوزراء والمبعوثين الأمريكان والأوروبيين والروس، اتفقوا جميعًا على أن الفلسطينيين هم المجرمون المعتدون، وأن النازيين اليهود هم الضحايا المعتدى عليهم! لذا يرتعد السيد "ياسر عرفات" كلما حضر هؤلاء وكلما ذهبوا، ويسعى فى سبيل ذلك إلى تلبية رغباتهم باعتقال المجاهدين من أبناء شعبه ووطنه، ولو أدى ذلك إلى اقتتال مواطنيه ورفع السلاح فى وجوه بعضهم، دون أن يتعظ بالماضى أو يعتبر بالحاضر، ودون أن يدرك - كما أدرك أطفال الانتفاضة- أن هؤلاء الوسطاء والمبعوثين الذين يحضرون إليه ويذهبون من عنده، ما هم إلا خدام للنازية اليهودية، وباحثون عن المصالح النازية الصليبية، وأنهم حين يعزون النازيين ولا يعزون العرب الفلسطينيين، فإنما يعبرون عن حقيقتهم الدموية المتوحشة التى لا تعرف غير لغة القوة والمخالب والأنياب.

إن النازية الصليبية ممثلة فى الولايات المتحدة وأتباعها الأوروبيين

والروس، تخلت عن ورقة التوت التى كانت تتستر بها، وكانت تسميها حقوق الإنسان، وترى وتسمع كل يوم بل كل ساعة عن اغتيال النازية اليهودية للمدنيين الفلسطينيين - أطفالا ونساء وشيوخا ورجالا - بالطائرات والدبابات والمدافع، وتهدم بيوت الفلسطينيين وتجرّف أراضيهم وتقطع أشجارهم وتعربد فى ممتلكاتهم، دون أن تقول للنازية اليهودية: عيب.. أو خطأ. أو لا يجوز، بل تراه دفاعا عن النفس، ويا للعار تسميه أحيانًا "ضبطًا للنفس" وتردد ما يقوله النازيون اليهود وتستجيب لما يطلبونه، وتشيد بما يفعلونه ولو كان قتلا وقصفا وتدميرا وتخريبا واغتيالا

ومع ذلك كله، فإن رئيس السلطة المحدودة فى غزة، ما زال مصرًا على البقاء على كرسيه المهتز، ومثابرًا على استقبال الوسطاء والمبعوثين الاستعماريين فى همة يحسد عليها، وعزيمة غير عادية تدخل ضمن موسوعة "جينز" للأوليات النادرة، والأمور الخارقة. أضف إلى ذلك استمراره فيما يسمى باللقاءات الأمنية بهدف التنسيق الأمنى الذى تحرسه وتشرف عليه المخابرات المركزية الأمريكية، حيث يلتقى الفلسطينيون والنازيون اليهود من أجل وقف الانتفاضة واعتقال المجاهدين الفلسطينيين وتأمين الوجود النازى اليهودى داخل الخط الأخضر وخارجه.. أى عبث، وأى استهانة، وأى بلاهة؟ إن الشهداء يتساقطون يوميا داخل بيوتهم وفى الشوارع الفلسطينية، وتقوم النازية اليهودية باغتيالهم علنا، وتعلن ابتهاجا بمقتلهم عبر الإذاعات والتلفزة والصحف على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، ومع

ذلك يصر أزلام السلطة الفلسطينية المحدودة على اللقاء مع النازيين اليهود من أجل التنسيق الأمنى؟

بل إن الأمر تجاوز هذا الحد، وقبل السيد "ياسر عرفات"، وجود مراقبين أمريكان من المخابرات المركزية الأمريكية لمراقبة وقف إطلاق النار.. أى توقف الحجارة الفلسطينية قبل أى شىء، وبالطبع فإن هؤلاء المراقبين المخابراتيين الأمريكان لن يوقفوا الطائرات ولا الدبابات ولا المدافع ولا الاغتيالات، ولن يمنعوا الجرافات اليهودية من تجريف الأرض والزرع والشجر فى أرض فلسطين - فلماذا يقبل الزعيم الثورى المناضل "ياسر عرفات" هذه الرقابة وهذا الإذلال وذلك القتل لشعبه؟!

من المفارقات المضحكة أن السلطة المحدودة أعلنت أنها ستتقدم بقائمة مطلوبين من القتلة اليهود الذين يقيمون فى المستعمرات اليهودية داخل الضفة والقطاع، ولكن النازيين اليهود - بمجرد إذاعة الخبر- أعلنوا فى استهانة واضحة بالسيد عرفات وسلطته، أنهم لن يتسلموا هذه القائمة. مجرد التسلم لن يحدث، وهو ما جرى بالفعل فى اجتماع التنسيق الأمنى الذى تم تأجيله عقب هذا الإعلان.

إن السلطة المحدودة صارت تمثل عبئا على انتفاضة الشعب الفلسطينى الأسير، وصارت عامل إجهاض لمكاسبه التى يحققها على أرض الواقع، وما فعله السيد "موسى عرفات" -رئيس ما يسمى بالمخابرات الفلسطينية -ومحاولته اعتقال المجاهدين الفلسطينيين، ما هو إلا طعنة غادرة للانتفاضة وللشعب الفلسطينى، إذ إنه بفعلته

الشنعاء، التى هى بوحى من السيد "ياسر عرفات"، يفتح الباب لفتنة شريرة تحقق لشارون المجرم بأيدى الفلسطينيين ما لم يستطع تحقيقه بأيدى النازيين اليهود.. إن اقتتال الفصائل الفلسطينية نتيجة لعبث عرفات ورجاله ليس أمرا هينا، فى الوقت الذى يقوم فيه مجرم الحرب "شارون" وعصاباته النازية بالقتل والتدمير دون رادع أو وازع من قانون أو أخلاق

ولا يظن أحد أن اليهود القتلة يريدون حقا التخلص من عرفات ورجاله، فهو ورجاله يقدمون خدمة عظمى للكيان النازى اليهودى بحراسته وقهر شعبهم وكتم أنفاسه والاستفادة بفسادهم البشع والشنيع

إن إبقاء السلطة المحدودة خير معين للنازية اليهودية على تحقيق أهدافها؛ لأنها لو زالت فستواجه شعبا من القنابل البشرية يهدد وجودها النازى، ويعجل بنهايتها إن شاء الله.

هذا أوانُ الشّدّ فاشتدّى ولا تهنِى

لم يعد فى قوس الصبر منزع. . الأمة تُضرب كل يوم على قفاها وتُركل فى مؤخرتها من جانب العدو النازى اليهودى، والحكومات لاهية أو مشغولة أو عاجزة عن رد الصفعات أو كيل الركلات، ويأتى من أوروبا الصليبية الاستعمارية عشرون رجلاً وامرأة استيقظت ضمائرهم وتحركت مشاعرهم إزاء القهر اليومى الذى يتعرض له الشعب الفلسطينى فيصنعون من أنفسهم دروعًا بشرية تحمى الفلسطينيين من قصف المدافع والدبابات والصواريخ والطائرات، وأمة العرب والإسلام سادرة فى غيها ولهوها مشغولة بليالى الفن والفرفشة فى المصايف والسواحل.

وعلى شاشات التلفزة وعبر موجات الأثير، وجمهور المسئولين وعامة الناس يتنازعون حول مباريات كأس العالم ومن الأحق بالفوز، وتمثيل الأمة فى دورة طوكيو أو كوريا أو بكين، أو يتابعون أخبار اللاعب المصاب واللاعب المباع، واللاعب الذى لم يستدل له على عنوان. . يأخذون أمر الفن والكرة مأخذ الجد ويهتمون به اهتماماً استراتيجيا، أما أرض الإسلام ومقدسات الإسلام وكرامة الإسلام فمسألة وراء الوعى، ووراء الاهتمام، وإذا كانت ضمائر عشرين رجلاً وامرأة من أوروبا قد دفعتهم إلى دخول الأرض المحتلة للدفاع بأجسادهم عن الشعب الفلسطينى، فإن الضمائر البليدة فى أجهزة الدعاية العربية ما زالت منتشية بالحديث مع نجوم الطرب

والتمثيل والرقص ولعب الكرة ومن يلونهم من منتفعين وأصحاب مصالح.

لقد ذهب النازيون اليهود إلى المسجد الأقصى ووضعوا ما يسمى بحجر الأساس للهيكل الثالث تحت سمع وبصر الأمة الإسلامية كلها شعوبًا وحكومات، وقامت القوات النازية اليهودية باغتيال المجاهدين والأطفال فى نابلس والضفة والقطاع، وكل يوم يتساقط الشهداء الذين يتم قتلهم بالصواريخ أو قذائف المدفعية والدبابات، والأمة لا تتحرك ولا تفعل شيئًا، ومشغولة بأهل الفن ولاعبى الكرة يا حسرة على الأمة وما آلت إليه.

الشعب الفلسطينى وحده فى الميدان يستشهد ويدافع بأسنانه وأظفاره عن مقدسات الإسلام والمسلمين، والناس ساكتون إزاء ما يجرى، ولكنهم مهمومون بأخبار الفنانين واللاعبين، وأجهزة الدعاية تخصص جُلّ وقتها وبثّها لإذاعة هذه الأخبار والتعليق عليها وتحليلها وإجراء المقابلات والحوارات من أجلها.. فهل تكون هذه الأمة حقًا خير أمة أخرجت للناس؟

إن الخيرية مربوطة بشرطين هما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإيمان بالله، وما يجرى فى أرض فلسطين من احتلال مُنكر يجب النهى عنه بكل الوسائل الممكنة ولدينا الكثير منها.

وما يجرى فى أرض فلسطين من جهاد معروف يجب الأمر به ودعمه بكل الوسائل الممكنة ولدينا منها الكثير... ولكننا للأسف لا ننهى عن المنكر ولا نأمر بالمعروف فى أرض فلسطين، تركنا شعبها

وحده، يـواجه الموت، ويعـانى الاحتـلال وحده، ويجـوع وحده، ويصطلى بنيران داخليـة وخارجية وحده. . حـتى السلطة الفلسطينية المحدودة سخّرت وكالة الأنباء الخاصة بها "وفا" لتنتقد المجاهدين فى "حماس" الذين أعلنوا عن حقـهم فى الثأر من النازية اليهودية التى اغتالت فى وضح النهار ستـة من زعمائها، وقالت "وفا" : «إن هذه تصريحـات عصبيـة ينبغى ألا تصدر فى مـثل هذه الظروف». ومتى تصدر يا سادة يا من تشرفون على "وفا" وتوجهونها؟ هل تصدر بعد فناء الفلسطينيـين جميـعًا؟ أم أن هناك من سيـأخذ بثأر الشـهداء فى واشنطن ولندن وبون والفاتيكان؟

إن مجلس الأمن لم يعد يعرف شيئًا اسمه فلسطين أو الفلسطينيين بعد أن أصـدر تلالاً من القرارات بـشأنهم لم ينفـذ منها قـرار واحد على مدى نصف قـرن أو يزيد، والزعامة الصليبـية الاستعـمارية فى واشنطن أو غيرها تبارك جهود مـجرم الحرب النازى اليهودى "إرييل شارون"، وتستقبله دائمًـا بالأحضان والثناء العاطر، ثم إنها لا تكف عن إرسال الرسل والمبـعوثين من مـختلف النوعيـات والتخصـصات والجنسيات لهدف واحد أو غـاية واحدة هى، وقف المقاومة، وتركيع الشعب الفلسطينى إلى الأبد، وتحويله إلى بقايا عبـيد يخدمون السيد النازى اليهودى أو السيد النازى الصليبى.

وقد اطمـأنت القيـادة الصليبيـة الاستعـمارية إلى تركـيع العرب والمسلمين، ،وتمت لها السيطرة على ثرواتهم ومقدراتهم ومصائرهم، بدليل هذا الصـمت الرهيب الذى لا تقطعـه إلا أخبـار الفن والكرة

ومع ذلك نجد وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا" لديها الوقت الكافى والحس الإنسانى الصافى لانتقاد مجاهدى "حماس" وتصريحاتهم المطالبة بالثأر للشهداء، بدلاً من نقل تصريح لمسئول فلسطينى يؤيد المجاهدين ويدعمهم.

إنّى وكثيرين غيرى يعلمون مدى الشدة التى يعيشها الشعب الفلسطينى البطل، ويدركون مدى المحنة التى يعانيها الفلسطينيون رجالاً ونساءً وأطفالاً فى حركتهم اليومية، وبحثهم عن اللقمة، وذهابهم إلى المدرسة والجامعة، فضلاً عن طابور الضحايا من الشهداء والمصابين، ولكننا لا نملك إلا الدعاء إلى اللّه أن يثبتهم على الحق، وأن يمدهم بمدد من عنده، بعد أن توقف مدد العرب والمسلمين، ووجد بعضهم الجرأة ليذهب مع ولديه إلى "تل أبيب" ليتحادث مع النازيين اليهود، ويقوم بجولة سياحية فى حيفا، كما فعل وزير خارجية قطر التى استضافت مؤتمر القمة الإسلامى الداعم لفلسطين، ولكن لسان الحال ما قاله بعضهم «هذا أوان الشدّ فاشتدّى ولا تهنى»، واللّه ناصر جنده ولو كره المجرمون.

وزير دفاع المحبة

كان الشهيد "عز الدين المصرى"، ابن "جنين" بلدة عز الدين القسّام، يقوم بعمليته الاستشهادية الرائعة ضد النازيين اليهود فى القدس الغربية، ويلقنهم درسًا فى دفاع العربى المسلم عن كرامته ووطنه وأمته، ويلقى الرعب فى قلوب المحتلين الغزاة الذين ظنوا أنهم بجيوشهم الجرارة، وأسلحتهم الأمريكية المتقدمة، وصمت الحكومات العربية، وتخاذل الشعوب الإسلامية، سيحققون غايتهم باستعباد الشعب الفلسطينى البطل وتركيعه وسحق مقاومته إلى الأبد.

فى ذلك الوقت، كانت تلفزة العديد من الدول العربية وأجهزة دعايتها مشغولة بمجموعة من المهارج أو المهرجانات - كما يسمونها - ويطلقون عليها توصيفات تدل على ابتذال الفكر وسطحية الوعى وتغييب الشعوب، ولا أدرى ما معنى "المحبة" ومهرجانها حين تنقل كاميرات التلفزة ما يجرى على شواطئ البحار، وتتحف الأمّة بمشاهدة استعراض كتل اللحم البشرية، وأنواع المايوهات، ومناظر الاسترخاء تحت المظلات بينما صواريخ العدوّ النازى اليهودى لا ترحم طفلاً ولا امرأة ولا شيخًا، وتقتل الشعب الفلسطينى داخل بيوته وفى قلب سياراته، فهل من اللائق والأمر كذلك أن نقيم مهارج المحبة وأشباهها لنرقص ونغنى ونطبل ونزمر ونستعرض الأجساد والمايوهات؟ هل هذه المهارج قادرة على الرد على حيوانية

العدو الوحشية وإيقافها عن القتل والسحق، وانتزاع الأرض السليبة من بين مخالبها؟

إن المحبة فى مفهومى المحدود تعنى أن يتعايش الشعب فى سلام مع حكومته، وأن يكون القانون الطبيعى والقاضى الطبيعى هما اللذان يحكمان العلاقة بين المواطنين وقادتهم، فلا يظلم أحد ولا يغيب وراء الأسوار إلى ما شاء الله، ولكن ماذا نقول ومهرجان المحبة يسطع بأضوائه عبر شاشات التلفزة ويضىء الشواطئ والحواضر، فى الوقت الذى تتوجه فيه تسع سيارات مدججة بالرجال الأقوياء والسلاح المتقدم للقبض على عضو مستقل فى أحد المجالس النيابية، آثر اللجوء إلى الإضراب فى مكتبه احتجاجًا على مصادرة الحريات، وسيادة قانون الغاب، والكذب على الناس بكلام أجوف رخيص؟ هل من المحبة اعتقال هذا المواطن (النائب) الذى وضع الناس ثقتهم فيه، ويملك حصانة نيابية، ولم يرفع السلاح فى وجه أحد ونهجم عليه بهذا الجيش العرمرم من رجال الأمن، وكان يكفى رجل واحد مسلح تسليحًا شخصيًا أن يقتاده إلى حيث يريده قادة المحبة ووزراء المحبة وحكام المحبة؟

ما هى الجريمة الكبرى التى ارتكبها النائب "محمد مأمون الحمصى" حين طالب بالحرية لشعبه والمحبة الحقيقية لوطنه؟ أما كان من الأفضل التحدث معه بلغة متحضرة عن طريق مسئول، ولو درجة عاشرة، لفهم وجهة نظره تعبيرًا عن المحبة؟ لقد بلغ الرجل أرذل العمر، وقيل إنه يعانى مرض السكر، ويبذل جهده ووقته من

أجل بلاده، يعني ليس عميلاً للنازية اليهودية ولا للصليبية الاستعمارية، وينادي بحق مشروع لشعبه وهو الحرية، أو المحبة بلغة القادة والزعماء، فماذا في ذلك؟

ماذا يقول العالم وهم يرون السيارات التسع المدججة بالرجال والسلاح تذهب لخطف مواطن ذي حصانة، وتغييبه في مكان مجهول؟ هل يصغى العالم لشكوانا من إرهاب العدو النازى اليهودى؟ هل يسمع لكلامنا عن إجرامه وجبروته ضد الشعب الفلسطيني أو الشعب اللبناني أو الشعب السورى؟

وإذا كان ما يجرى لنائب ذي حصانة، فما الذي يجرى للأشخاص العاديين؟ وماذا يحدث لهم على يد "قادة المحبة" من تعذيب وإهانة في سجون مغلقة لا يعرف أحد ما يجرى بداخلها، وإن كان التاريخ يسجّل أن بعضها هُدم على رءوس من بداخلها؟

هل المحبة في مفهوم قادتها وزعمائها، سحق أصحاب الفكر وإذلال ذوى الضمير، وفتح المجال أمام استعراض اللحم البشرى والمايوهات التي تغطيه، مع الرقص والطبل والزمر ومدائح النفاق الشعرية؟

لماذا نحن قساة القلوب غلاظ الأكباد على شعوبنا ومواطنينا، ودُعَاءُ مُسالمون مع أعدائنا وجلادينا، وخاصّة إذا كانوا يحتلون جزءًا من أراضينا، ويمرغون كرامتنا في التراب مع مطلع كل صباح؟

أليست هذه هي الهزيمة الداخلية بعينها، التي أشرت إليها مرارًا، وتحدث عنها الناس كثيرًا، وهي سبب هزيمتنا الخارجية بكل تأكيد؟

إن وزير دفاع المحبة يجب أن يكون رفيقًا بقومه، غليظًا على أعدائه وخصومه أعنى أعداء قومه وخصوم قومه.. إن المحبة هى مد يد الكفاح والجهاد لتحرير الأرض والعرض، ونجدة الأشقاء المحاصرين المقهورين فى المسجد الأقصى الذى بارك اللّه حوله، وتزويدهم بكل ما يمكنهم من الاستمرار فى الجهاد والمقاومة، أما المهارج التى تتغيّى تزييف الوعى وإلهاء الشعوب فليست من المحبة فى شىء، وليست من العروبة بسبب، وليست من الأخلاق بصلة.

رحم اللّه الشهيد عز الدين المصرى، وجعله مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

إعلان مدفوع الأجر

تمخض اجتماع وزراء الدعاية العرب الذى انعقد فى منتصف أغسطس ٢٠٠١، لدعم الانتفاضة الفلسطينية عن قرار مثير للدهشة والغرابة، إن لم يكن مثيرًا للضحك فى زمن البكاء والنواح، وهو الإعلان عن رقم الحساب الخاص بالتبرعات للشعب الفلسطينى على شاشات التلفزة العربية وعدّه إعلانًا مدفوع الأجر شكر الله لوزراء الدعاية العرب سعيهم، وجزاهم عن أمة العرب والإسلام خيرًا، فقد قاموا بواجبهم خير قيام، ودعموا الانتفاضة الباسلة خير تدعيم، ولا أظنهم قصّروا فى واجبهم القومى أو الإسلامى .. ترى ما الذى نطلبه منهم بعد قرارهم التاريخى هذا، بمنح الانتفاضة إعلانًا مجانيًا عن رقم حساب التبرع لها من المواطنين العرب من المحيط إلى الخليج؟

المفارقة أن دولة العدوّ النازى اليهودى ليس بها وزارة دعاية أو إعلام كما تسمى فى بلاد العرب والمسلمين .. هذه واحدة، والأخرى أن أجهزة الدعاية النازية اليهودية، مع أنها فى معظمها ملك لمؤسسات خاصة، إلا أن أصحابها يعملون من أجل قضية - ولو كانت مختلفة - ويسعون إلى غاية - ولو كانت غير شريفة - وتقوم أجهزة الدعاية النازية اليهودية بإقناع اليهود فى فلسطين وخارجها وإقناع العرب وغير العرب فى العالم، أنهم أصحاب قضية عادلة يدافعون عنها ضد الإرهاب الفلسطينى والإرهاب العربى

والإرهاب الإسلامى. لا تفتر هذه الأجهزة لحظة، ولا تنتظر التوجيهات والأوامر من مؤسسات الحكم، ولا يتعلل موظفوها بعدم وجود إمكانات أو ميزانيات، ولا يكتفون بترديد ما تذيعه وكالات الأنباء الاستعمارية أو صحف الغرب الصليبى إنهم يتحركون إلى موقع الأحداث ويقدمون ما يجرى للعالم بعيونهم هم، ولغتهم هم، ومصطلحاتهم هم، لا يخفون شيئًا إلا نادرًا، ولا يسكتون عن شىء إلا قليلاً، ولكنهم فى كل الأحوال يواجهون العالم بما يجرى، من منظورهم الخاص ومنطقهم الذاتى، ومع الإلحاح على ما يريدون والتذكير به ليل نهار، فإن الآخرين يصدقونهم، ويقتنعون بمقولاتهم، وتنتصر نظرية السيد "جوبلز" - وزير الدعاية فى عهد النازية الألمانية - التى تؤمن بأن الكذب المستمر فى الإلحاح عليه يؤدى إلى تصديقه

وزراؤنا للدعاية - حماهم الله - على العكس من ذلك. فهم يتحكمون فى أجهزة الدعاية كلها، تقريبًا، والعاملون فى هذه الأجهزة موظفون ينتظرون رواتبهم وحوافزهم وعلاواتهم، والقضايا القومية بل الوطنية عندهم مرهونة بمشيئة الأوامر العليا والتوجيهات السياسية حتى لو كان أصحاب الأوامر والتوجيهات يمنحون أجهزة الدعاية وموظفيها حرية كبيرة فى الحركة والقول والسلوك خدمة لقضايا الأوطان والأمة . .

ومن ثم فقد اتجه القوم إلى أسلم الطرق وأسهلها، وفى مقدمتها التركيز على ما لا يجلب سؤالاً أو يثير استفهامًا، ولا يوجد غير مباريات كرة القدم وأحوال الفن والفنانين، سبيلاً آمنًا إلى عدم

السؤال أو عدم الاستفهام، فكانت مساحات الإرسال الإذاعى والتلفزى فى دائرة المباريات الكروية، والبرامج الفنية ومنتجات الفنانين من أفلام ومسرحيات وطبل وزمر ورقص وثرثرة سخيفة عن الأكلات المفضلة والفساتين المفضلة، الزيجات المفضلة . . أما الانتفاضة والاستقلال والتنمية والتقدم ومحاربة الجهل والفساد والتخلف، فلا مجال لها فى أجهزة الدعاية العربية إلا نادراً.

لم يعد مستهجنًا فى هذه الأجهزة مثلاً أن تذاع حفلات الرقص والطبل والزمر والفرفشة، والعدوّ النازى اليهودى يقصف الشعب الفلسطينى الأسير، ويقتل أبناءه، ويدمر بيوته، ويجرف أرضه وزراعاته وأشجاره، ولا تجد أجهزة الدعاية العربية غضاضة فى قطع الإرسال عن الحفلات الصاخبة لحظات، لتذيع عناوين الأنباء وفيها تصيح الأمهات، وتولول النساء، ويصرخ الأطفال ويسجّى الشهداء. . ثم تعود هذه الأجهزة لمتابعة حفلاتها الصاخبة دون أن تتأثر بشىء أو تغضب لشىء أو تراعى شعور الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم أو أهليهم الذين تشتعل النار فى قلوبهم وعيونهم ومشاعرهم.

بالطبع لا نريد من أجهزة الدعاية الرسمية أن تكف عن الطبل والزمر والرقص والفرفشة، ولكننا نحلم أن تراعى مقتضى الحال، وأن تشاطر الأشقاء فى فلسطين مشاعرهم، وأن تقلل من جرعات الصخب الهستيرى للكرة وأهل الفن . . وبالطبع أيضًا لا نحلم أن تسخر هذه الأجهزة لخدمة القضايا الوطنية والقومية والإسلامية خدمة

حقيقية بعيدة عن الشعارات والدعاية الجوفاء، فالموظف لا ينتج أكثر مما يطلب منه فى العادة، ولكننا نطالب أجهزة الدعاية أن تستحى من شعوبها وأمتها، وتكف عن تزييف الوعى وتسطيح الفكر.

إن القنوات الخاصة والحزبية، مع التهم الغليظة التى وجهت إليها دون دليل، كانت أكثر موضوعية، وأكبر استيعابًا للأحداث، وأسبق فى تقديم الخدمة الإعلامية للأمة قبل أجهزة الدعاية الاستعمارية، ويكفى مثلاً أن قناة "المنار" التى أنشأها "حزب الله" فى جنوب لبنان، تخدم الانتفاضة الفلسطينية أكثر مما تخدمها جميع أجهزة الدعاية الرسمية فى البلاد العربية جميعًا، إن هذه القناة مع إمكاناتها الضئيلة تسبق الجميع فى تقديم الخدمة الإعلامية، وفى الوقت ذاته تبث الدعم المعنوى للشعب الفلسطينى، وتبث الرعب فى قلوب النازيين اليهود الغزاة، وتعمل على تذكيرهم أن حياتهم فى فلسطين السليبة هى الجحيم بعينه، وأمامهم فرصة للرحيل والهرب، ولعل هذا هو ما جعل القيادة الصليبية الاستعمارية فى واشنطن تحمل على قناة "المنار" وتراها تحض على الكراهية.

أليس من حقنا ونحن نضحك أن نوجه الشكر لوزراء الدعاية العرب على قرارهم بمجانية الإعلان عن رقم حساب التبرع للفلسطينيين؟

الشهادة هى الحل

أغلب الظن أن الأمة صارت تدرك بفطرتها السليمة لماذا تنجح مؤتمرات وزراء الداخلية العرب، ولا تنجح مؤتمرات نظرائهم من وزراء الخارجية والاقتصاد والزراعة والتعليم والثقافة وغيرها، ولهذا فقد فسر الناس تفسيرًا صحيحًا إخفاق مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى انعقد يوم الأربعاء ٢٢-٨-٢٠٠١، حيث أخفق إخفاقًا ذريعًا منذ بدايته، واختلاف الوزراء على انعقاد الجلسة علنية أو سرية، إلى أن أصدروا بيانًا مائعًا لا لون له ولا طعم ولا رائحة، يتحدث عن مخاطبة "واشنطن" كى تتحرك وتأخذ دورًا فاعلا فى الضغط على العدو النازى اليهودى ليوقف قتل الشعب الفلسطينى الأسير، مع إبداء الاستعداد - ضمنيًا - لوقف الانتفاضة.

ولا يغرنك ما تحدث عنه البيان من دعم الشعب الفلسطينى وتأييده، فهذا إنشاء عقيم لا طائل من ورائه، فما بالك بمؤتمر يتحدث رئيسه، وهو وزير خارجية قطر، كلامًا جميلا عن الشعب الفلسطينى وقضيته، وهروب المسئولين العرب من تحمل مسئولياتهم تجاه هذا الشعب، وفى الوقت ذاته يسافر إلى الأرض المحتلة ليدعو السفاح "شارون" كى يحضر المؤتمر الاقتصادى بالدوحة، ثم يأخذ ولديه ليتنزه ويسوح فى حيفا والقدس، وتل أبيب، ولا يجد غضاضة فى الحديث عن المكتب التجارى اليهودى بالدوحة، وإغلاقه رسميا، واستمراره عمليا.

الأمة تدرك بفطرتها السليمة أن نجاح وزراء الداخلية العرب فى مؤتمراتهم أمر طبيعى؛ لأن معظم الحكومات العربية تحرص على أن يبقى الشعب العربى داخل حدود العبودية مؤدبا مهذبا مطيعا، لا يتكلم عن الشورى أو العدل أو المشاركة أو الجهاد أو المستقبل أو الإسلام بمفهومه الصحيح، فإذا تجاوز هذه الحدود إلى تخوم الحرية والإنسانية، اتفق الوزراء أو معظمهم على إعادته إلى داخل حدود العبودية مرة أخرى، وتفننوا فى القوانين التى تجعل من يتمرد على العبودية يظل فى مكانه، لا يجد ثغرة ينفذ منها، حتى لو كان ذاهبًا إلى العمل فى إحدى الدول العربية.. كانت الأسئلة والاستجوابات والاستفهامات من أمامه ومن خلفه تحاصره، وتدفعه إلى كراهية الدنيا وما فيها.

لذا، فإن إخفاق مؤتمر وزراء الخارجية لم يكن مسألة مفاجئة، فالناس يعلمون أن العديد من حكومات العرب المسلمة لا مانع لديها من بقاء النازية اليهودية فى فلسطين إلى الأبد، ولا مانع لها من إفناء الفلسطينيين فى الداخل والخارج، حتى ينتهى صداع "القضية" وما تجره على الأشاوس والنشامى من متاعب وتعكير للمزاج، ولعل هذا ما يدفع بالبعض إلى التعامل سرًا وعلنًا مع النازى اليهودى، وخطب وده، والتلطف فى الحديث مع الأشقاء، ولك أن ترى الفارق فى الرد على السفاح "شارون" عندما يسب دولة عربية، والرد على حاكم شقيق يرى وجهة نظر مخالفة فى بعض القضايا العربية حتى سلطة الحكم الذاتى المحدود (هل بقى منها شىء؟) تفعل الشىء

نفسه، وتصر على التفاوض - حتى لو كان مشروطًا - مع السفاحين النازيين اليهود، فى الوقت الذى يخرج فيه المدعو "شعث" ليهاجم دولة عربية كبرى؛ لأن تصريحات رئيسها لم تعجبه.

من المؤكد أن أمتنا بفطرتها السليمة التى عرفت لماذا تنجح مؤتمرات وتخفق مؤتمرات، أدركت أن حل القضية الفلسطينية وتحرير المقدسات لن يتم بمعرفة الحكومات العربية والإسلامية، ولن يتحقق على أبواب البيت الأبيض، ولا فى عواصم الدول الإسكندنافية: أوسلو، كوبنهاجن، إستكهولم، ولا عند حائط المبكى الدولى المسمى بالأمم المتحدة.

لقد جربت قرنًا بأكمله تستجدى وتستعطف وتستصدر القرارات تلو القرارات، حتى فازت أمتنا بالرقم القياسى فى القرارات التى صدرت بشأنها، ولكن قرارًا واحدًا منها لم ينفذ حتى الآن، ولم تقم الدول الصليبية الاستعمارية الكبرى بإرغام بعضها وإرغام النازيين اليهود على تنفيذه، الإرغام كان من نصيب العرب والمسلمين وحدهم لتنفيذ قرارات ظالمة جائرة، والتاريخ يسجل ذلك بحذافيره.

إن انتفاضة الأقصى المباركة أو حرب الاستقلال الفلسطينية - مع ما تعانيه من خسائر وحصار وجرحى وشهداء، وصلوا حتى الآن إلى قرابة ثمانمائة شهيد وخمسين ألف جريح فى نهاية الشهر الحادى عشر للانتفاضة - هى الطريق الوحيد الواضح الذى يرغم النازية اليهودية والنازية الصليبية فى واشنطن على رد الحقوق لأصحابها، وتطهير فلسطين المحتلة من رجس الاحتلال، وإذا كان الأشرار فى تل أبيب

واشنطن لم يسلِّموا بعد بحقوق الشعب الفلسطينى فى أرضه ومقدساته، فإن بشائر هذا التسليم بدت بفضل الله فى الأفق، وعلى مرأى ومسمع من الناس: فقد حوكم الجندى أو الضابط النازى اليهودى رقم "١١" منذ بداية الانتفاضة لامتناعه عن الاستمرار فى التجنيد بالجيش النازى اليهودى.. عدد هائل بالمقاييس العسكرية النازية اليهودية، وأعلن كثيرون عن عزمهم على الهجرة إلى أوروبا للتمتع بالحياة وليلحقوا من سبقوهم على هذا الدرب، وآخر من أعلن ذلك مطرب مشهور الأسبوع الماضى. وأعرب عن رغبته فى النجاة من أرض مليئة بالخوف والموت.. ثم إن الدولة النازية اليهودية الاستعمارية أعلنت أن السياحة على الأرض المغتصبة، قد تراجعت بمقدار ٥٦٪ فى شهر يوليو الماضى عن نظيرتها فى يوليو ٢٠٠٠، ثم إن السفاح اليهودى "شارون" عبر المائة يوم ولم يحقق الأمن لعصاباته النازية المجرمة.

والسؤال هو: ما ضرورة الوفد الذى سيرسله وزراء الخارجية العرب إلى واشنطن، والانتظار طويلا على أبواب الخارجية الأمريكية حتى يقابلهم السيد "كولن باول" ويقول لهم مبتسما: أوقفوا الإرهاب الفلسطينى أولا حتى يمكن العودة إلى المفاوضات؟

أيها السادة: إن الشهادة هى الحل.

اغضـــبى يا أمَّة

«بلغ السيل الزبى» مثـل قالته العرب وضربتـه وتضربه عندما تصل الأمور إلى حـد عدم العـودة أو نقطة عدم الرجـوع . . وقد وصلت ممارسات النـازية اليهودية فى فلـسطين هذه النقطة وذاك الحد، فـقد تمادت فى قتل الفلسطينيين واغتيال زعمائهم، وملاحقتهم فى البيوت والمكاتب والشوارع والسيارات، وصنعت للـشعب الفلسطينى الأسير جحيـمًا غير مسـبوق من الموت والرعب والحصار والتشـويه والقهر، ولم تكتف النازية اليـهـودية بهذا الجـحيـم، بل أغرقت فى صناعـة الجحيم.

وكادت للعرب والمسلمين جميـعًا، حين اتخذت خطوات أكثر امتهانًا للأمة وشـعوبها، فأصدرت إحدى محاكمهـا قرارًا بأحقية النازيين اليهود فى وضع حجر الأسـاس لما يسمى بالهيكل الثالث الذى لا وجود له فى الواقع، ولا فى التاريخ، ثم قامت باحتلال "بيت الشرق" الذى كـان يمثل فى العرف الـدولى والدبلوماسى مقـر الحكومة الفـلسطينية مع تسـعة مـقرات أخرى فـى القدس العتـيقة، لتكتـمل بذلك حلقة التـهويد الكاملة أو شـبه الكاملة للمدينة المقدسة.

النازية اليهودية فى فلسطين المحتلة تتـحرك على مرأى ومسمع من الدنيـا كلها، تـظاهرها القيـادة الغـربية الاسـتعـمـارية فى واشنطن والعواصم الأوروبيـة، ولا يغرنك ما يصدر من بيـانات هزيلة وهشة

فى هذه العاصمة أو تلك، تتحدث عما يسمى بضبط النفس أو رفض التصعيد السياسى أو نحو ذلك، فما هذه البيانات إلا تشجيع صارخ - وإن كان ملفوفا بكلمات معسولة - لتفعل النازية اليهودية ما تشاء.. وكل ما تفعله هو تأكيد للهيمنة الغربية الاستعمارية على مقدرات الأمة ومصائرها وثرواتها، وهذه غاية الغرب الاستعمارى فى الماضى منذ الحروب الصليبية، وفى الحاضر، وفى المستقبل.

إن رفع العلم النازى اليهودى على بيت الشرق، ومن قبله محاولة وضع حجر الأساس للهيكل المزعوم، يعنى أن هذا العلم فى ظل الأوضاع العربية والإسلامية المتردية يمكن أن يوضع فوق مقرات حكومات عربية وإسلامية أخرى، ولا أظن ما يجرى فى العالم العربى والإسلامى بمعزل عن ذلك، بدءًا من تمزيق إندونيسيا إلى ما يجرى فى الجزائر والمغرب، مرورا بما يحدث فى أفغانستان وكشمير والعراق ولبنان والسودان.

ومع ذلك فإننى لا أشك للحظة أن الأمة قادرة - بفضل الله - أن تملك زمام المبادرة، وتحول هذا الواقع المتردى والمخزى والبائس إلى واقع آخر، أكثر إيجابية وفعالية وحزمًا، وإذا كانت الحكومات العربية والإسلامية مقيدة بأوضاع صعبة ومربوطة بالتزامات ظالمة من صنع الهيمنة الغربية الاستعمارية، فإن الشعوب العربية والإسلامية بقواها المختلفة ومؤسساتها الأهلية والشعبية والحزبية تستطيع - بعون الله - أن تسهم إسهامًا عظيمًا فى شد أزر الحكومات ومساعدتها على تجاوز العقبات، وصنع مناخ جديد يجبر العدو وحلفاءه على التسليم

بحقوق الأمة وسيادتها وثرواتها، وقبل ذلك مقدساتها.

إن الأمة مطالبة اليوم بالغضب النبيل الذى لا يعبر عن عواطف هادرة بقدر ما يعبر عن عقول مؤثرة، وإذا كان الناس لا يستطيعون الـ ظاهر - مجرد التظاهر - تعبيراً عن غضبهم عما يجرى فى الأرض المقدسة، فى الوقت الذى يبدو فيه الزعيم الكوبى "فيدل كاسترو" أكثر عروبة من العرب، حين يقود مظاهرة ضخمة فى بلاده تأييداً لحق الفلسطينيين فى الاستقلال والحرية، فإن واجب العرب والمسلمين هو الرد أو التظاهر الصامت الذى يوجع العدو وأعوانه، ويضربهم فى مقتل، والتظاهر الصامت له أشكال عديدة ومتنوعة منها: المقاطعة الشعبية والقومية للوجود الصهيونى الاستعمارى، سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، ويعلم الصهاينة والاستعماريون أن بقاءهم وازدهارهم قائم على نهب الثروة العربية والإسلامية، وسرقة العقول العربية والاستعمارية، والضحك على الحكومات العربية والإسلامية، ونحن نملك أن نوقف النهب والسرقة والتغرير، لدينا الإمكانات والقدرة، ونستطيع أن نقول للمؤسسات والشركات والجامعات فى الغرب الاستعمارى: "نحن أحق ببضاعتنا، وأجدر بالتصرف فيها" نبيع بالطريقة الملائمة، ونشترى بالأسلوب المناسب فى الوقت المناسب، ومن له مصالح عندنا ينبغى أن يراعى مصالحنا.. وعندما يستطيع الشعب مقاطعة دكان أمريكى ويرغمه على غلق أبوابه، والرحيل عن بقعة عربية، فإنه يستطيع أن يفعل ذلك، ويكرره على مستويات أكبر.

وبعد ذلك فإن سلوك وزير عربى يزور الكيان الصهيونى، ويأخذ ولديه ليتجول سائحًا فى "حيفا" يتحول إلى عمل مستهجن يُرد على صاحبه بطريقة فعالة ومباشرة.

وإذا كانت المقاطعة تبدو عملاً سلبيًا، فإن دعم الشعب الفلسطينى بالمال والسلاح والغذاء والكساء يتحول إلى عمل إيجابى يقتضى الحركة والنشاط فى التعبير عن إرادة الأمة ومشاعرها الحقيقية، إن نصف زجاجة زيت الطعام التى تبرعت بها امرأة مصرية فقيرة لشعب الانتفاضة تمثل ذروة العطاء الفياض؛ لأن صاحبته أعطت كل ما تملكه وهو "نصف زجاجة زيت الطعام" ولم تبخل به، وشعبنا المصرى قدوة لبقية الشعوب العربية والإسلامية، ونحن نملك الكثير الذى يمكنه أن يفرغ الحصار اليهودى النازى من مضمونه، ويشجع الشعب الأسير على الصمود والمقاومة، وحين تتمكن شعوب الأمة من تزويد هذا الشعب المظلوم بالسلاح، وخاصة "الكاتيوشا" والـ"آر. بى. جى" فإن كثيرًا من حقائق الواقع على الأرض الفلسطينية ستتغير، وستظهر - بإذن الله - بشائر النصر المنتظر والموعود: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

إن الغضب النبيل يستطيع أن يزلزل الجبال، وأن يهز الكيان النازى اليهودى فى فلسطين، وأن يخلص حكوماتنا المقيدة من ذل الارتباط بالغرب الاستعمارى المتوحش.

دعاة التيئيس

لن نقذفهم بحجارة العمالة والخيانة وخدمة النازية اليهودية والنازية الصليبية، وإن كانوا كذلك بالفعل على مدى تاريخهم الصحفى والأدبى الطويل، فما وصلوا إلى مراكزهم وجوائزهم ومناصبهم إلا بالنفاق الرخيص والتلوّن الحربائى، ويكفى أن بعضهم قطع زيارة لجبل عرفات، وذهب ليحج إلى القدس المحتلة، وينعم بمصافحة السفاح الهالك "مناحم بيجين" وبقية السفاحين من النازيين اليهود فى نوفمبر١٩٧٧ .

لن نقذفهم بأى نوع من الحجارة، ولكننا سنقذفهم بحجارة المنطق والعقل وتجارب التاريخ لنقول لهم: إن ما تدعون إليه من الارتماء على أقدام أمريكا وتقبيلها والصبر عليها والرضا بشروطها (ومن بينها قبول القتل بالحراب النازية اليهودية دون مقاومة أو احتجاج) ثم التفاوض اليوم وغدًا وإلى ما شاء الله، لأن ذلك فى زعمكم هو الطريق الوحيد، ولو كان طويلاً وشاقًا ومجهدًا، نقول لكم يا سادة إن هذه الدعوة باطلة وغير مجدية، لسبب بسيط جدًا هو أن العدو النازى اليهودى لا يلبى رغبة مشروعة، ولا مطلبًا قانونيًا إلا إذا أُرغم على ذلك قسرًا وعنوة وكرهًا.

وقولوا لنا: تحت أى ظرف بالانسحاب من سيناء أو جنوب لبنان .. لقد انسحب كرهًا وعنوة وقسرًا لأنه ذاق ألم الإكراه والمعاناة والقسر .. حين عرف أن بقاءه فى سيناء وجنوب لبنان سيكلفه

خسائر فادحة فى جنوده وسلاحه وعتاده وهيبته العسكرية، خرّ راكعًا، ومضى إلى الحدود الدولية لفلسطين المحتلة.

التاريخ يتحدث عن مغادرة الغزاة للبلاد المغزوة تحت ضربات الشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال .. لم يتحرك الغزاة بمحض إرادتهم أو بخالص رغبتهم، ولكنهم يتحركون تحت ضغط الخسائر التى يدفعونها والقتلى الذين يموتون والهزائم التى تلحق بهم .. الصليبيون فى الحروب التسع السابقة مضوا إلى حيث أتوا بعد الهزائم والمقاومات التى واجهوها من الشعوب الإسلامية والعربية.

العقل يقول: إن خسائر المقاومة والجهاد أقل بكثير من خسائر الاستسلام وقبول الأمر الواقع .. حين تتوقف المقاومة، ويلغى الجهاد، يطمع النازيون الغزاة، ويزدادون شراسة وعتوًا، ويرون بلاد الآخرين حقًا مشاعًا لهم، يفعلون بها ما يشاءون ويدّعون ما يشاءون، ويزعمون أنها كانت ملكًا لهم فى قرون غابرة وأزمنة ماضية، ولا يعدمون حيلة من نسج أساطير وخرافات تدعم مزاعمهم وأكاذيبهم.

لكن المقاومة المستمرة والجهاد الدائم يقطعان الطريق على تغوّل الغزاة، ويكسران وحشيتهم، حتى لو كانوا مسلحين بأحدث ما وصلت إليه الترسانة الدولية للسلاح، ولعل تجربة "حزب اللّه" فى لبنان - التى لا نمل من الإشارة إليها - خير شاهد على شجاعة المقاومة والجهاد، مع قلة المقاتلين وتفوّق الغزاة فى تحقيق النصر على العدوّ، ودحره، وإلحاق العار به.

الشعب الفلسطينى المستباح بإيمانه بالله، وشجاعته الواثقة، وصبره على المكاره، وتشييعه للجنازات، استطاع أن يقهر النازيين اليهود، مع أنهم يملكون سلاحًا جبارًا، وجيشًا رهيبًا، وإمكانات هائلة، ودعمًا عسكريًا مُغلقًا من الشيطان الأكبر، ودعمًا آخر غير محدود من العالم الصليبى فى المجالين السياسى والدبلوماسى عبّر عن نفسه فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمؤسسات الدولية الأخرى، ولعل ما جرى فى مؤتمر مناهضة العنصرية الذى انعقد فى "ديربان" بجنوب أفريقيا (٣١-٨-٢٠٠١) يمثل أحدث صور التأييد الصليبى للاستعمار النازى اليهودى.

ومن المؤسف أن البعض تحت زعم العقلانية والسباحة ضد التيار، لا يستحى أن يطلق دعوته إلى التمسك بأهداب الشيطان الأكبر، والتفاوض معه إلى أبد الآبدين" لأن ذلك - فى رأيه - هو الحل، وهو الطريق إلى تحرير الشعب الفلسطينى، وإن بدا الطريق طويلاً، ونسى أن الشيطان الأكبر لم يعد يكلّف نفسه عناء استخدام ورقة التوت ليستتر بها أمام العالم والأخلاق والضمير.

الشيطان الأكبر يؤيد اغتيال الفلسطينيين وقادتهم، ويرى مقاومتهم للاحتلال عُنفًا وإرهابًا وعدوانًا على اليهود، ولا يجد فى استخدام السلاح الأمريكى ضد الشعب الفلسطينى حرجًا أو خروجًا على مبدأ عدم استخدامه فى غير الدفاع عن النفس، والأمم المتحدة التى صارت فرعًا لوزارة الخارجية الأمريكية عاجزة عن اتخاذ قرار لحماية الفلسطينيين من وحشية النازية اليهودية،

حتى مفوضية اللاجئين بالأمم المتحدة الست "مارى روبنسون" أسفرت عن وجهها القبيح، وقالت "أنا يهودية" ورفضت الربط بين العنصرية والصهيونية، وبعد ذلك يأتى من يطالبنا بالارتماء على أقدام الولايات المتحدة والصبر عليها والتفاوض تحت رايتها، حتى نحصل على بعض حقوقنا.

لقد دخلت انتفاضة الأقصى المباركة أو حرب الاستقلال شهرها الثانى عشر، وقدمت قرابة ثمانمائة شهيد، ونحو خمسين ألف جريح، وشربت المرّ والعلقم، وعانت الحصار والتجويع، ولكنها أقنعت العدو النازى اليهودى وسيّده الصليبى أن هناك شعبًا يسعى إلى الحرية والاستقلال، ولن يتخلى عن الحرية والاستقلال.

السفاح فى موسكو

انشغل العرب والمسلمون بما يجرى فى مدينة "ديربان" بجنوب أفريقيا حيث يعقد مؤتمر الأمم المتحدة لمناقشة قضية العنصرية والعبودية (٣١-٨-٢٠٠١).

ويطرح فيه العرب والمسلمون والأفارقة مآسيهم القديمة المتجددة التى تسببت فيها دولة النازية اليهودية فى فلسطين المحتلة والدول الصليبية الاستعمارية بقيادة الولايات الأمريكية المتحدة . . كان الانشغال العربى الإسلامى الأفريقى محصورًا فى الحصول على بيان يدين النازية اليهودية، ويساويها بالعنصرية، ويعتذر فيه الصليبيون الاستعماريون عن استعباد أفريقيا واسترقاق أبنائها وبيعهم هنا وهناك للعمل سخرة وعبودية خدمة للسيد الصليبى الاستعمارى أينما كان .

فى الوقت ذاته كان السفاح النازى اليهودى "إرييل شارون" يحلّ ضيفًا على القيادة الصليبية الاستعمارية فى موسكو، ساعيًا إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العملية والمعنوية التى تخدم كيانه النازى اليهودى، وتثبت أركان استعماره لأرض فلسطين السليبة، وتضعف مقاومة العرب والمسلمين للإجرام النازى اليهودى.

وكما نرى فإن انشغال السفاح النازى اليهودى فى موسكو أهم بكثير من انشغال العرب والمسلمين فى "ديربان"، لأن موسكو تقدم

خدمات ملموسة ومؤثرة، أما "ديربان" فلن تقدم شيئًا ذا بال، حتى لو كان إدانة وشجبًا واستنكارًا، وهو ما لم يحدث، ولن يحدث.

السفاح النازى اليهودى حقق بزيارته لموسكو فتحًا جديدًا لسياسته يضاف إلى فتوحاته فى واشنطن ولندن وباريس وبون حيث لقى من قادتها الصليبيين الاستعماريين تأييدًا وتفهّما وموافقة صريحة وضمنية على سحق الشعب الفلسطينى، واغتيال قادته، وتدمير بيوت أبنائه وحصارهم وتمزيق مدنهم وقراهم، وفى موسكو وجد ترحيبا، وتأييدًا لعمليات الاغتيال، وموافقة على هجرة مليون مواطن روسى - حتى لو لم يكونوا يهودًا وفق الشروط التى تضعها النازية اليهودية للمهاجرين اليهود - إلى فلسطين المحتلة، يمكن استيعابهم فى عشر سنوات.

ثم مناقشة إمداد الروس لإيران وسوريا ببعض الأسلحة المتطورة أو المساعدة على صنع هذه الأسلحة، وقد أنجز السفاح النازى اليهودى "إرييل شارون" إنجازًا عظيمًا من خلال حفاوة روسية بالغة، تؤمن بأن "تل أبيب" هى مفتاح قلب واشنطن التى تملك المال والخبز، وتفتح خزائن صندوق النقد الدولى. قيل إن السفاح النازى اليهودى وجد شيئًا من الاعتذار عن عدم الاستجابة لمطالبه بشأن إيران بسبب العلاقة الوثيقة التى تفرض على الروس التعامل مع الإيرانيين اقتصاديًا وتجاريًا، ولن تحصل على سلاح هجومى أبدًا، ولن يساعدها الروس فى إنتاج أى نوع من السلاح، خاصة وأنها مدينة بمبالغ كبيرة منذ الاتحاد السوفيتى السابق.

وهكذا عاد السفاح النازى اليهودى من زيارته إلى موسكو التى تطوعت لتتحدث مع بعض الأطراف العربية لوقف انتفاضة الأقصى المباركة أو بحرب الاستقلال دون قتال، وكان أول اجتماع عقده السفاح النازى اليهودى عقب عودته مع ضباط الجيش النازى اليهودى للبدء فى تنفيذ خطة الفصل أو العزل بين مناطق الضفة الغربية وما يسمى بالخط الأخضر الذى يبعد المناطق المحتلة من فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ويقيم عليها العدو النازى اليهودى كيانه الاستعمارى المتوحش.

إذا كانت زيارة "شارون" أخطر فى نتائجها من زيارة العرب والمسلمين إلى ديربان، فقد ظن العرب والمسلمون أن مؤتمر الأمم المتحدة لمناهضة العنصرية والرق سيحقق إنجازًا معنويًا كبيرًا يتمثل فى إدانة الكيان النازى اليهودى، ومساواة الصهيونية بالعنصرية، والاعتذار عما قام به الاستعمار والاستعباد، وكان حاصل المشاورات والمناورات أسفر حتى كتابة هذه السطور عما يلى:

* انسحاب الولايات المتحدة وقاعدتها الاستعمارية فى بلادنا العربية - أعنى دولة الكيان النازى اليهودى - من المؤتمر، احتجاجًا على طرح مسألتى الإدانة والاعتذار، وقال رئيس الوفد النازى اليهودى كلامًا منحطًا يصف به أعمال المؤتمر والمشاركين فيه.

* هدّدت فرنسا على لسان رئيس وزرائها الشيوعى "ليونيل جوسبان" بالانسحاب من المؤتمر، ومعها دول الاتحاد الأوروبى إذا تمت إدانة العدوّ النازى اليهودى، أو أعلنت مساواة الصهيونية

بالعنصرية، وقالت الأخبار الواردة من "ديربان" فى اليوم الأخير للمؤتمر: إن العرب والمسلمين تنازلوا عن مسألة مساواة العنصرية بالصهيونية، ويساومون على إدانة الكيان النازى اليهودى باسمه، ولكن دول العالم الصليبى الاستعمارى ممثلة فى بلجيكا ترفض هذه الإدانة، وتطرح صياغة غامضة، لا تعبّر عن شىء بقدر ما تعبّر عن ضعف المجموعة العربية الإسلامية، وفقدان إرادتها، وتفكّك موقفها (سافر معظم وزرائها قبل انتهاء المؤتمر)، وهو ما يعنى أن السفاح النازى اليهودى حقق إنجازًا خطيرًا فى موسكو، لا يحطمه غير المجاهدين والاستشهاديين فى القدس وفلسطين، فاعتبروا يا أولى الألباب.

طبّاخُ السُّم لا بد أن يَذوقهُ

وقعت الواقعة، وقامت القيامة، واهتزّ عرش الولايات الأمريكية المتحدة، زعيمة الأشرار فى العالم، أو الشيطان الأكبر كما كان يسميها "الخمينى"، ولم تفلت أعصابها الحساسة من أكبر ضربة إرهابية عرفها العالم على مدى تاريخه الحديث والمعاصر، راح ضحيتها آلاف المدنيين الأبرياء الذين تعاطفت معهم شعوب الأرض وفى مقدمتها الشعوب الإسلامية التى ذاقت مرارة الإرهاب المخيف على يد المخابرات الأمريكية والأوروبية، وعانت - وما زالت - سطوة الإرهاب النازى اليهودى المدعوم بتأييد واشنطن ومباركة العواصم الصليبية الأخرى.

استنكرت أمتنا الإسلامية من مشرقها إلى مغربها ما جرى للضّحايا الأبرياء الذين سقطوا فى نيويورك وواشنطن؛ لأن الإسلام يرفض العدوان على الآخرين، ويأبى ظلم الأبرياء، ويتعفف عن سلب الغير ماله أو ثروته أو كرامته أو حريته أو عقيدته.

ولكن العالم الصليبى الاستعمارى من خلال أبواقه أبى - منذ زمان - إلا أن يعبر عن رغبته المتوحشة فى إرهاب المسلمين، فجرّد الحملات العسكرية ضدّهم، فمع بداية الحروب الصليبية عام ١٠٩٥م، ومع بداية العصر الحديث احتل معظم بلاد العرب والمسلمين، وسام أهلها شتى ألوان العذاب والإذلال، وبعد انحسار موجة الاستعمار العسكرى المباشر استخدم أساليب أكثر جدوى فى

إرهاب المسلمين وإذلالهم، وأقام فى فلسطين قاعدة عسكرية مدججة بأحدث الأسلحة لتركيع الأمة الإسلامية ونهب ثرواتها، والحيلولة بينها وبين المشاركة فى صنع الحضارة الإنسانية، فضلاً عن العيش الآمن الكريم.

عندما آلت قيادة العالم الصليبى الاستعمارى إلى الولايات المتحدة قبل نصف قرن فإنها لم تتوان عن إرهاب العالم الإسلامى، وإدخاله دوامة الرعب والأحزان، فأشعلت الصراع بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها، وبين الشعوب والشعوب، والحكومات، ولعبت أجهزة الاستخبارات الأمريكية الدور البارز فى هذا الصراع منفردة أو مساندة لدولة العدوّ النازية اليهودية.

عقب هزيمة ١٩٦٧ التى ذاقها العرب والمسلمون وسقوط القدس العتيقة ذهب السفراء العرب فى واشنطن لمقابلة الرئيس الأمريكى ليندون جونسون يشكون إليه ما فعله النازيون اليهود بشعوبهم وأوطانهم، ولكن فخامته كان مشغولاً بكلبه الذى يجلس بجانبه، وخاطبه على مسمع من السفراء العرب جميعًا قائلاً له: ما رأيك فى ولد مشاغب كان يزعج جيرانه، فنزل إليه أحد الجيران الأقوياء وضربه علقة ساخنة أسكتته وقضت على إزعاجه؟ وفهم السفراء العرب كلام الرئيس الأمريكى، وانصرفوا مقهورين.

وبعد حرب رمضان، فإن أمريكا وضعت خطة "الينابيع السبعة" بمعرفة المجرم اليهودى "هنرى كيسنجر" لـ "عبرنة" المنطقة أى تفتيتها إلى دويلات وكانتونات بقيادة الكيان النازى اليهودى، ولم تتوقف

أمريكا عن إشعال النار فى بلاد العرب والمسلمين بمساعدة دول أوروبا الصليبية الاستعمارية، خاصة فرنسا وإنجلترا، فمزّقت لبنان على مدى خمسة عشر عامًا، وسمحت للعدوّ النازى اليهودى بأن يصل إلى بيروت.

ويحتل الجنوب اللبنانى لأكثر من عشرين عامًا، وأشعلت النار بين العراق وإيران لتحقق هدفين: الأول إخماد الثورة الإيرانية التى نهجت نهجاً مستقلاً عن الإرادة الصليبية الاستعمارية، والآخر تدمير قدرات إيران والعراق معًا، وتم لها ما أرادت، وحين استشعرت أن العراق تبقى له شيىء من القوة حرضته بطريقة غير مباشرة على غزو الكويت (قصة السفيرة جلاسبى معروفة) ثم جيّشت الجيوش ليتم لها احتلال الخليج كله، والسيطرة على منابع البترول، وتقاضى ثمن الاحتلال عدًا ونقدًا عن طيب خاطر من أهل الخليج المحتل، ومازالت تضرب المدنيين فى العراق بطائراتها حتى اليوم.

لقد شجعت أمريكا الإرهاب والفتنة الطائفية والعرقية فى مصر والسودان والجزائر واليمن وغيرها، وشجعت - ومازالت تشجع - الإرهاب النازى اليهودى فى فلسطين، وتؤيد اغتيال القادة الفلسطينيين وحصار الشعب الفلسطينى وتجويعه وتدمير بيوته وضرب أبنائه بالطائرات الأمريكية والمدافع الأمريكية والصواريخ الأمريكية والغازات الأمريكية، وترى فى ذلك دفاعاً عن النفس! وفوق ذلك تستقبل السفاح النازى اليهودى ومساعديه بالأحضان والقبلات فى البيت الأبيض والبنتاجون والخارجية والكونجرس.

لعل الشعب الأمريكى الجريح يدرك الآن أن دموع الأمهات الفلسطينيات على أبنائهن وأزواجهن، وأن عيش الأسر الفلسطينية فى العراء أمام بيوتها المهدومة والمدمرة بأسلحة أمريكا، هو نتيجة إرهاب منظم صنعته حكومة الولايات الأمريكية المتحدة وساعدت عليه، وباركته.

ولعل الشعب الأمريكى يدرك الآن أن من يطبخ السمّ لابد أن يذوقه، بل يتجرعه حتى الثمالة، فمساعدة الكيان الإرهابى، النازى اليهودى تولد الكراهية، والرغبة فى الانتقام، أو حتى التشفّى، وحكومة الولايات المتحدة ظلمت شعوباً كثيرة، وزرعت الإرهاب فى شتى أرجاء العالم سرًا أو علنًا، فاكتسبت كراهية الدنيا بأسرها باستثناء العالم الصليبى الاستعمارى أو حكوماته بمعنى أدق . . بل إن ميليشيات اليمين المتطرف فى أمريكا تكره حكومتها وتحاربها ولا طريق لإزالة هذه الكراهية من صدور العالمين إلا باتباع سياسة عادلة تحقق الشعارات الأمريكية التى تتحدث عن رفع شعلة الحرية فى العالم، وما رفعتها إلا لتحقيق حريتها هى وحدها، ولتضرب وتظلم وتحاصر وتبث الفتن، ولا تعبأ بالمظلومين أو المقهورين.

الصليبيون قادمون

لم تكن زلة لسان، أو جهلاً ثقافيًا، تلك الجملة التى وردت على لسان الرئيس "جورج بوش الابن"، رئيس الولايات الأمريكية المتحدة، حين وصف حملته الإرهابية المدججة بأحدث ما عرفته البشرية من سلاح ضد العالم الإسلامى والإسلام بأنها "حرب صليبية طويلة الأمد" لقد عبّرت الجملة العفوية عن مكنون الروح الأمريكية الأوروبية المشبعة بالعداء لكل ما هو إسلامى أو مسلم، فهناك أربعة عشر قرنًا من الزمان شهدت غارات أوروبية صليبية ضد الإسلام والمسلمين، تفاوتت فى حجمها وقدرتها واستمرارها، وإن كانت قد عبّرت عن نفسها بوضوح فى أول حرب صليبية جماعية شاركت فيها دول أوروبية عام ١٠٩٥م، وعرفت على المستوى العالمى باسم الحرب الصليبية الأولى.

وليست أفغانستان المتهمة بإيواء الإرهاب وحمايته إلا "مسمار جحا" الذى يقف تحته العالم الصليبى المعاصر، ليدمر المسلمين وينهب ثرواتهم، ويقضى على الإسلام، بعد أن أخفقت حملاته العسكرية وحصاراته الاقتصادية وغزواته الثقافية فى تحقيق غاياته وأهدافه كاملة.

إن الصليبيين المعاصرين بقيادة الولايات الأمريكية لا يقصدون ضرب أفغانستان وحدها، ولا القضاء على ما يسمونه "الإرهاب" بعد تفجيرات نيويورك وواشنطن. فأفغانستان ليس فيها ما يستحق

الضرب، و"الإرهاب" المطلوب القضاء عليه ليس له مكان ثابت أو أشخاص معروفون، ولكن الصليبيين المعاصرين يريدون رأس الإسلام والمسلمين، وهم يقصدون صراحة تدمير باكستان وإيران والعراق ثم الفصائل المجاهدة ضد القاعدة الصليبية الإجرامية الاستعمارية فى فلسطين، ثم اغتيال العلماء والقادة والزعماء الذين يرفضون الهيمنة الصليبية على الإسلام والمسلمين.

أفغانستان إذن مجرد نقطة ارتكاز لاحتلال شرق العالم الإسلامى، والقفز منه لضرب المفاعل النووى الباكستانى والمشروعات النووية والتسليحية فى إيران، وما تبقى من قوة للعراق، ثم السيطرة على بحر قزوين وثروات النفط والغاز المحيطة به، ثم الجلوس على مقربة من التنين الأصفر (الصين) لإخافته، وإفهامه أن الصليبيين بالقرب منه، ولن يسمحوا له بالتعبير عن ذاته بوصفه قوة عظمى منافسة تهدد القطب الصليبى الأوحد، فضلاً عن بث الرعب فى قلب الذئب العجوز المتهالك (روسيا) وإخافته من مجرد التفكير فى استعادة مجد الاتحاد السوفيتى الضائع، أو عظمة القياصرة التاريخية.

الحملة الصليبية الراهنة بقيادة الولايات المتحدة، ليست رد فعل لتفجيرات نيويورك وواشنطن، ولكنها تعبير عن خطط قديمة جديدة بالهيمنة على العالم الإسلامى، والقضاء على الإسلام من خلال البروز القطبى الأحادى على الساحة الدولية التى لا يرى فيها غير الزعامة الصليبية الاستعمارية، بعد أن أخفقت محاولات الهيمنة الاقتصادية والثقافية طوال القرن العشرين، فضلاً عن خروج العالم

الصليبى ممزقًا بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية.

هذه المرة هناك حرب عالمية ثالثة يقودهـا الصليبيون ضد العالم كله ضمنًا، وإن كانت ضد الإسلام والمسلمين أساسًا، وقد أعلن "بوش" مساء الخميس ٢٠-٩-٢٠٠١، أمـام مجلسى الكونجرس (الشـيوخ والنواب) أن "من لا يقف معـنا ويشارك فى الحرب، فـهو يقف مع الإرهاب"، ومعنى ذلك أن دول العـالم جميعًـا يجب أن تحارب فى صف العالم الصليبى، وضد من يقرر هذا العالم أنه "إرهابى" يجب تحطيمـه وتدميره. فإذا قـالت أمريكا مثـلاً: دمروا لبنان؛ لأنه يؤوى "حزب الله" الذى هو منظمة إرهابية فى نظرها، فعلى العالم بما فيه العـرب والمسلمون أن يدكـوا لبنان، ويحـولوه إلى أطلال، وإلا حق عليـهم أن يستـمتـعوا برؤيـة الفانتـوم وصواريخ كـروز وهى تحطم عـواصمـهم ومدنهم ومـصـانعهم ومـؤسسـاتهم، فـضلاً عن قـتل المواطنين.

ولنا أن نتصور مـثلاً دولة مثل باكستان وقد رفـضت المشاركة فى الانضمام إلى القـوات الصليبية فى ضرب أفغـانستان أو إيران، تحت ضغـط الرفض الشعـبى الغلاب الذى انطلق يعلن انـتماءه لـلإسلام وتضامنـه مع أشقائه الأفـغان، حـينئذ يتعـين على الباكـستـانيين أن يتحملوا مسئوليتهم وفـقًا للإرادة الصليبية، وعليهم ألا يندهشوا حين تكون مؤسـساتهم النووية والعـسكرية والاقتـصادية وأفـرادهم هدفًا للقـصف الصليـبى، فضـلاً عن الحـصـار الاقتـصـادى والسيـاسى والدبلوماسى.. إلخ.

إن الجلاد الصليبى يقرر ما يريد، وعلى العالم بما فيه المسلمون المستهدفون أساسًا أن يسمعوا ويطيعوا وينفذوا، وإلا حقت اللعنة الصليبية على من يخالف.

وقد أدرك ذلك مبكرًا الرئيس "عرفات"، وأعلن وقف الانتفاضة مرة أخرى، وتطوع فوضع إمكانات السلطة الفلسطينية المحدودة تحت تصرف القيادة الصليبية، وأمر التلاميذ فى مدارس الضفة والقطاع أن يقفوا دقيقة حدادًا على أرواح الشهداء الصليبيين (وليس الفلسطينيين)، ثم ذهب أبعد من ذلك حين تبرع بدمائه للشهداء الصليبيين، ولم يتبرع من قبل ولا من بعد للشهداء الفلسطينيين، وطلب من المجاهدين ألا يردوا على النازيين اليهود، ولو فى حالة الدفاع عن النفس أرأيتم كيف يؤثر الصليبيون؟ وكيف يحكمون؟ إنهم لم يتعظوا بعدُ من أحداث الثلاثاء الأسود، ويظنون أنهم فوق العالم .. ونسوا أن الله أكبر .. الله أكبر.

حرب صليبية قذرة

هى حرب، وهى صليبية، وهى قذرة..

أما إنها حرب، فقد أعلن رئيس الولايات المتحدة أنها حرب ضد ما يسميه "الإرهاب" ويقصد به الإسلام، ولا نصدقه حين ينفى أو يعلن أنه يحترم الإسلام والمسلمين؛ لأن واقع الحال يؤكد أن ضرب الأفغان - وليس طالبان - ومعهم دول إسلامية، ومنظمات عربية، وعلماء مسلمون، هو هدف الآلة العسكرية الأمريكية. فالأبرياء المسلمون هم المستهدفون؛ لأن أحدًا حتى الآن لم يعرف من الذى فجّر نيويورك وواشنطن، والقرائن والشبهات تدور حول جهات قوية وغنية ومحترمة ولها مصلحة فى هذه التفجيرات بدءًا من الموساد النازى اليهودى، مرورًا بتجار المخدرات الكبار فى كولومبيا، وانتهاء بالشركات العملاقة المسماة متعددة الجنسيات.

وأما إنها صليبية، فهذا ما ذكره الرئيس "بوش الابن" فى إحدى خطبه، وقيل بعدها إنها زلّة لسان أو جهل ثقافى، وحاول الاعتذار عنه بزيارة بعض المراكز الإسلامية وبعض التصريحات التى تعلن عن احترامه للإسلام والمسلمين. والحرب الصليبية التى تتوجه إلى الشرق الإسلامى وأهله تعيد سيرة الصليبيين الأوائل فى أهدافهم وغاياتهم بالسيطرة على أرض الإسلام ومقدساته، وتثبيت قاعدتهم العسكرية النازية اليهودية القائمة الآن فى فلسطين المحتلة. إن الغرب لن يحارب الآن دولة أخرى مثل الهند أو الصين أو منغوليا أو روسيا أو

موزمبيق، ولكنه يتجه إلى الدول الإسلامية المتهمة من جانبه بالإرهاب، وعدم التحضر وعدم السير فى ركاب الديمقراطية.

وأما إنها قذرة، فذلك ما أكده نائب الرئيس الأمريكى "ديك تشينى" حين وصف هذه الحرب بأنها: "حملة كبيرة قذرة"، وقذارتها من وجهة النظر الإنسانية أنها ستودى بآلاف المسلمين الأبرياء الفقراء الذين لا ناقة لهم ولا جمل فيما جرى على أرض الولايات المتحدة، بل إن بعضهم لا يعرف أين تقع الولايات المتحدة، ثم إن للقذارة وجها آخر يعبر عن الوحشية الصليبية التى لا تعرف دينًا، ولا تلتزم خلقًا ولا تخضع لقانون، يتمثل فى نهب الشعوب المستضعفة وسلب ثرواتها النفطية والمعدنية، كما هو الهدف المأمول الآن فى السيطرة على بحر قزوين وما حوله من دول ضعيفة تملك النفط والغاز، ولا يريد الغرب الصليبى أن تهنأ به، أو تستفيد منه، فضلاً عن أن تتحكم فيه، ولك أن تتصور المذابح التى ستقع، والانقلابات التى ستحدث، والاغتيالات التى ستتم، مما يسميه رجال الاستخبارات بالعمليات القذرة التى تتم وفقًا لمفهوم الغاية تبرر الوسيلة.

شعوبنا الإسلامية البائسة المسكينة، وفى مقدمتها "الشعب الأفغانى" لم تفجر نيويورك أو واشنطن، لسبب بسيط وهو أنها لا تملك الخبرة، ولا المال ولا الرجال الذين يمكنهم أن يصنعوا هذه التفجيرات المفاجئة المذهلة. ولكن "السيد الصليبى" كان قد أصدر حكمه وقراره بجلد العالم الإسلامى كله قبل أن يعرف الفاعل

الحقيقى لدرجة أن الحكومات الإسلامية كانت تتدافع - ومازالت - لتثبت للسيد الصليبى براءتها وحسن سيرها وسلوكها، وأنها - كثير منها - فى سبيل ذلك تفتح أراضيها وموانيها ومطاراتها لتتحرك القوات الصليبية الضاربة فى كل اتجاه ترغب، وتقهر أى شعب إسلامى تريد، وتحتل أى عاصمة إسلامية تحبّ. فمحاربة الإرهاب، أى الإسلام، وفقًا لإرادة السيد الصليبى صارت واجبًا شرعيًا يتسابق الجميع لأدائه وتنفيذه. ألم يقل السيد الصليبى: من لم يحارب الإرهاب معنا، فهو ضدنا ومع الإرهاب؟ وهى مقولة أعيد إنتاجها بعد نصف قرن حين أطلقها وزير الخارجية الأمريكى "جون فوستر دالاس" أيامئذ: "من ليس معنا فهو علينا".

إن الذعر الذى تعيشه معظم حكومات المسلمين، يمكن تفهم أسبابه، خاصة بعد أن وضعت "الميديا" الصليبية اليهودية جميع المسلمين، بمن فيهم المسلمون الغربيون - أى الذين يعيشون فى أوروبا وأمريكا - داخل دائرة الإرهاب وعدم التحضر، وأوجبت الانتقام منهم.

فى هذه الحرب الصليبية القذرة، التى ترفع شعارات حق يراد بها باطل، أشعر بالحزن والخزى لبعض النخب العربية التى تستغل الفرصة للهجوم على الإسلام والمسلمين، وتتمسك بأهداب الصليبيين واليهود طمعًا فى رضاهم، وخوفاً من غضبهم. لقد قدمت لنا الفضائيات العربية والصحف العربية بعض النماذج التى فقدت الحياء، وتناست ما يفعله الصليبيون واليهود بشعبنا الفلسطينى الأسير

من إذلال غير مسبوق، وحصار حتى الموت، وملاحقة واغتيال وتجويع .. ومع ذلك تصرّ هده النماذج على أن السيد الصليبى صاحب حق فيما يفعل، وأننا نستحق ما يجرى لنا من قهر وترويع، فنحن فى نظر هذه النخب المستلبة إرهابيون متخلفون حتى لو لم تكن لنا علاقة بتفجيرات نيويورك وواشنطن .. أليس فينا من ينادى بالإسلام عقيدة وشريعة، ودينًا ودنيا؟

من أجل ذلك نستحق فى نظر هذه النخب تجييش الجيوش، واستنفار الطائرات والدبابات والمدرعات والصواريخ والبوارج والغواصات، حتى لو كان متطرفونا أقل عددًا من متطرفى أمريكا الصليبية وحدها، الذين يبلغ عدد منظماتهم أكثر من ٢٥٠ منظمة متطرفة، ألم أقل لكم إنها حرب صليبية قذرة؟

تسليح المقاومة.. وترحيل السلطة

كل ما عدا المقاومة الآن لغو وثرثرة وهذر لا وقت له، فأمام سيل الشهداء الفلسطينيين الذى يهدر فى الضفة والقطاع، فإن الحديث عن المفاوضات واللقاءات والوساطات بين العدو النازى اليهودى والأشاوس والنشامى من زعماء السلطة الفلسطينية المحدودة لا محل له، بعد أن أثبتت الأحداث على مدى عام من انتفاضة الأقصى المباركة أو حرب الاستقلال الفلسطينية أن النازية اليهودية لا تفهم إلا لغة واحدة هى لغة المقاومة . . المقاومة الدائمة والمستمرة وبكل الوسائل.

بعد سقوط أكثر من سبعمائة شهيد، وأكثر من خمسين ألف جريح، عدا البيوت التى تم هدمها، والمزارع التى تم تجريفها، والأشجار التى تم اقتلاعها، فضلاً عن الحصار الاقتصادى والحواجز التى تمنع الحركة بين القرى والمدن الفلسطينية بل بين الشوارع وبعضها البعض. . نفاجأ بإعلان وقف إطلاق النار من الجانب الفلسطينى، ويلح رئيس السلطة على الشعب أن يسكت تمامًا، حتى الدفاع عن النفس يرفضه رئيس السلطة من أجل عيون "شارون" الذى يأبى أن يجلس وزير خارجيته معه إلا بعد الاستسلام الكامل والصمت التام فى أرجاء الضفة والقطاع.

ومع ذلك، فإن السفاح النازى اليهودى "شارون" يتقدم بدباباته إلى مناطق السلطة، ويتمركز فيها بعد أن يطلق النار على الشعب

الأعـزل الذى يطالبـه رئيســه بإيقـاف النار ولو كـانت دفاعًـا عن النفس، فى الأسبوع الماضى دخلت أكثـر من خمسين دبابة يهودية إلى مدينة الخليـل، وتوغلت فيهـا، وأسقطت خمـسة شهـداء مرة واحدة عدا عشرات الجـرحى، ثم احتلت تلة أبو سنينة، ولم تغادر مواقعها حتى كتابة هذه السطور.

ويخرج رئيس السلطة ورجـاله لإدانة العمليات الاستـشهادية التى يقوم بها المجاهدون الفلسطينيـون، ويتحدث بعض رجال السلطة من ذوى الوجـه السـميك عن عـدم الانضـبـاط لدى البعـض (يقصـد المجاهـدين) وعن التزام السلطة بالاتفـاقات والمعـاهدات إن السـفاح النازى اليهـودى "شارون" لم يلتزم بأى اتفاق وأية مـعاهدة، ولكنه أباح على الملأ لجـيـشـه النازى المـتـوحش أن يفـعل مـا يراه لقـتل الفلسطينيـين وتركيـعـهم وإذلالهم، ويأبى الأشاوس والنشـامى من رجال السلطة إلا أن ينصـاعوا له، وينفذوا إرادته، ويسهمـوا معه فى قهر شعبهم التزامًا باتفاقـات "أوسلو" التى عينتهم "خفراء" لحراسته دون مقابل وطنى أو سياسى.

لقـد جاء السـفـاح شارون إلى الحكم بإرادة السـفـاحين الغـزاة، وبأغلبية ساحقة، آثرته على سفاح آخر، لم يقدم من الضحايا قدر ما قدم، وعندمـا اعتلى منصـة الحكم وعد بإخمـاد الانتفاضـة فى مائة يوم، ولكنها مـرّت دون أن ينجز وعده، فأفـرط فى المزيد من القتل والدمار، بيـد أن الشعب الفلسطينى - وليست السلـطة الفلسطينية - جعله يتجرع غصص الخوف والانكسـار، ولو احتفظ بأقوى الجيوش

المسلحة فى المنطقة.

لقد علقت السلطة الفلسطينية أملها على الولايات المتحدة، صانعة النازية اليهودية وداعمتها، ولكن هذه لا تحقق لها أملاً، ولا تقدم لها خيرًا، لسبب بسيط وهو أنها لا تستغنى عن القاعدة العسكرية النازية اليهودية فى فلسطين إلا إذا استشعرت أن مصالحها الأخرى - اقتصادية واستراتيجية وسياسية - ستتعرض للخطر، ولأن ذلك ليس واردًا فى الوقت الحالى، فلن تصنع أمريكا شيئًا للسلطة الفلسطينية ورجالها، حتى لو تحدث السيد بوش عن قيام دولة فلسطينية بشرط الاعتراف بوجود القاعدة النازية اليهودية فى فلسطين.

الأشرار الصليبيون واليهود لا يؤمنون إلا بلغة القوة، هى التى تسيّرهم، وهى التى تجعلهم يملون شروطهم أو يقبلون شروط الغير، ولأن العرب والمسلمين خارج فلسطين لا يملكون فى زماننا أن يستخدموا القوة وعناصرها، فإن الشيء الباقى الوحيد هو "المقاومة" الفلسطينية الباسلة، هى التى تستطيع أن تملى شروطها، **وتقدر على قهر العدوان النازى اليهودى بفضل الله.**

[illegible] رئيس وزراء عربى أمام الناس بأن أجهزته ضبطت سلاحًا مهربًا إلى المقاومة الفلسطينية! فى الوقت الذى كانت فيه دماء الشعب الفلسطينى الأسير تسيل على أرض فلسطين، ولو أن هذا المسئول العربى كان يشعر بشيء من الحياء لسكت على سلوكه الذميم الذى يتنافى مع الأخلاق الإنسانية والشهامة العربية ونصرة المظلوم، واليوم ومع اتساع نطاق الخسّة النازية اليهودية فى إسالة الدم

الفلسطينى البرىء، فقد آن الأوان لتتخلى الحكومات العربية عن دور الشرطى الذى يحرس العدو النازى اليهودى، ويؤمّن غاراته الدموية ضد الشعب الفلسطينى.

آن للحكومات العربية أن تدعم المقاومة الفلسطينية أو الجهاد الفلسطينى بوسيلتين، أولاهما: الصمت، وترك الشعوب العربية والإسلامية لتقوم بدورها فى تأييد المقاومة ومؤازرتها بالطرق التى تراها، والأخرى إقناع السلطة الفلسطينية أن ترحل عن كاهل الشعب الفلسطينى بأعبائها ومفاسدها وطموحاتها الشخصية، فهذا الشعب قادر على استخلاص حقوقه بنفسه، ويحب ألا تبددها السلطة بوقف إطلاق النار أو المفاوضات العقيمة أو ملاحقة المجاهدين وتقديمهم قربانًا للعدو النازى اليهودى .. لقد آن الأوان لتسليح المقاومة .. وترحيل السلطة.

الهمجية الصليبية.. والنازية اليهودية

حين جاءوا إلى بلادنا فى أول حرب عدوانية أواخر القرن الحادى عشر الميلادى، سمّوا أنفسهم بالصليبيين، وكنا نسميهم الإفرنج أو الفرنجة، أى إنهم هم الذين أعطوا لأنفسهم التسمية الأولى، وجيّشوا الممالك والإمارات الأوروبية الكاثوليكية لتشارك معهم فى تخليص مهد المسيح من أيدى الكفرة (أى المسلمين)، وطبعوا حرب النهب والسلب والاغتصاب والقتل بطابعها الدينى، أما نحن المسلمين فكنا نخوض أبدًا حربًا دفاعية لتحرير بلادنا وكسر شوكة العدوان تحت راية الجهاد الذى يحصره الإسلام فى قوله تعالى: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ [البقرة: ٩١].

والفتوحات تدخل فى دائرة رد العدوان من المتربصين والغادرين والذين يهددون حدود الدولة، أى أنها ليست استعمارًا كما ذهب إلى ذلك خدام العالم الصليبى واليهود، وليست حربًا دينية بالمفهوم الصليبى ولن تكون؛ لأن من يدافع عن نفسه يملك المشروعية الدينية والقانونية والدولية والخلقية.

ومن ثم، فإن الصليبيين المعاصرين حين يعلنون اليوم أنها حرب صليبية، فهم متسقون مع أنفسهم؛ لأنهم يسعون إلى استثارة العواطف الدينية، والنزعات التعصبية لمقاتلة المسلمين الكفار الإرهابيين المتوحشين، وسبب الشر فى العالم كما يتصورون، يستوى فى ذلك صمويل هنتنجتون وسيالفيو بيرلسكونى وأوكوياما وجورج بوش الابن.

مع ملاحظة أن هذه الصليبية، قديمًا وحديثًا، لا علاقة لها بالمسيح - عليه السلام - ولا بقيمه ولا بمبادئه ولا شريعته. إنها صليبية أوروبية أمريكية، صنعتها مواريث القرصنة والهمج الأوروبيين والكاوبوى الأمريكي، والسوبرمان الخيالى الذى قدمته هوليود. ولأمر ما كان أتباع المسيح فى الشرق العربى يسمون "النصارى" وكانوا فى الغرب يسمون وفقًا للمذاهب التى ابتدعوها: الكاثوليك، البروتستانت، البيوروتان. . "النصارى" هى التسمية القرآنية التى جعلتهم أقرب مودة، وأعينهم تفيض دمعًا بما عرفوا من الحق، أما نظراؤهم من السلاف فى روسيا وصربيا والبلقان، فتأثروا بهمجية الكاثوليك، وما عرفوا إلا التعصب الأعمى والهمجية البشعة (انظر ما فعلوه مؤخرًا فى البوسنة والهرسك وكوسوفا ومقدونيا، وكانت تباركه الكنيسة الأرثوذكسية فى بلجراد وموسكو وسكوبيا).

البعض يحذّرنا اليوم من تسمية العدوان الصليبى على المسلمين بالحرب الصليبية، ومن جعلها حربًا دينية؛ لأن دولاً إسلامية تشارك فى التحالف الصليبى الذى يقوم الآن بإبادة الأفغان، وسينتقل إلى أماكن أخرى بعد حين، ونحن يا سادة نكرر أنهم هم الذين سموها حربًا صليبية طويلة الأمد وقذرة ضد ما يسمى بالإرهاب، ونحن لا ندرى هل تحتاج محاربة الإرهاب إلى هذه الجيوش الجرارة والأسلحة الحديثة التى لم يسبق استخدامها مثل القنابل الجديدة التى تنفجر إلى قنابل أخرى، وتضيء لمدة زمنية غير مسبوقة (أكثر من ثلاثين ثانية) وتفجيرها يزلزل الأرض تحت أقدام السكان؟

وهل محاربة الإرهاب تعنى محو قرى بأكملها من الوجود كما حدث فى قرية "قرام" الأفغانية التى سويت بالأرض، واستشهد أكثر من مائتين من أهلها الفلاحين البائسين، عدا الجرحى والمفقودين؟

إن الصليبية الهمجية حتى الآن لم تقتل أسامة بن لادن الموسوم بالإرهاب، ولم تقض على تنظيم القاعدة الموسوم بالإرهاب أيضًا، ولكنها قتلت مئات الأبرياء من فقراء الأفغان، وقضت على وجودهم الإنسانى بتدمير بيوتهم المتداعية، وإرهاب الملايين من سكان أفغانستان بدفعهم إلى الهرب من قراهم ومدنهم إلى الجبال والحدود، حيث البرد والعراء والجوع، والمفارقة الأعجب ما يقال عن إسقاط معونات غذائية صليبية من الجو للأفغان الفارين من الهمجية المتوحشة، أى منطق وأى عقل يقبل بمقولات الصليبيين وحلفائهم فى بلاد الإسلام؟

ولم يكن غريبًا أن تطبق النازية اليهودية المنهج الصليبى الهمجى على الفلسطينيين العزل، وأن تمارس قتلهم واغتيالهم بحجة مقاومة الإرهاب، وتدمر بيوتهم، وتجرّف زراعاتهم، وتقتلع أشجارهم المعمرة، ثم تتحدث عن تسهيلات لبعض الفلسطينيين استثناءً من الحصار الآثم الذى تفرضه عليهم منذ عام أو أكثر.

إن ثقافة الكراهية التى بثتها الصليبية الهمجية والنازية اليهودية فى نفوس الأتباع، وتجلت فى إيذاء المسلمين الأوروبيين والأمريكيين والكنديين، وتهديدهم، ومطاردتهم، لهى أكبر دليل على السلوك

لمتوحش الذى لا يـعرف دينًا ولا خلقًا" وإن رفع رايـة الدين وورقة لإنسانية.

لسنا ندرى كيف تحارب أمـريكا الصليبية شعب أفغـانستان البائس لفقـير، بل تدمره بحـجة مقاومـة الإرهاب، وفى الوقت ذاته تدعم لإرهاب النازى اليهودى فى فلسطين، وهى تستطيع أن توقفه بإشارة ن إصبعها، فضلاً عن معاقبته وردعه؟

إن الهمجـية الصليبيـة لا تسعى إلى محاربة مـا يسمى بالإرهاب، لكنهـا تسعى إلى محـاربة الإسلام واستـئصال أهله، ومـحوه من الوجود، وإخـضاع الحكومات الإسـلامية جـميـعًا للإرادة الصليبـية الغاشمة، وما حملة بعض المسـئولين والصحف الأمريكية على بعض الدول العربية مؤخـرًا إلا دلالة على هذه الإرادة الغاشمة التى لا ترى غيـر مصالحهـا الإجرامية وأهدافـها العدوانية وهى مـصالح وأهداف تتلاقى مع الإرادة النازية اليهودية.

ولا ريب أن الأيام ستكشف المزيد من أسرار الحملة الصليبية القذرة على بلاد الإسلام، وتوضح الكثير من الخفايا، والأيام حبلى بالمزيد، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قطار الشرق الصليبى

ركب "ياسر عرفات"، قطار الشرق الصليبى، فخسر كل شىء، وازدادت وحشية النازى اليهودى فى قتل الفلسطينيين واغتيال قادتهم، والتوغل فى أعماق مدنهم وقراهم، وتشديد الحصار عليهم، وتجويعهم أكثر من ذى قبل.

وكان "ياسر عرفات" من قبل قد ركب قطار "صدام" التكريتى فى حرب الخليج الثانية، وظن أنه سيحرّر له فلسطين، ويعيد اللاجئين والنازحين والمشردين، ولكن "صدام" ضيّع نفسه وشعبه وقومه، وخدم العدا كما لم يخدمهم أحد من قبل.

وركب "ياسر عرفات" من قبل قطار المليشيات فى لبنان، فأحرق مراكبه، وتوسطت الدنيا لتخرجه من بيروت راكبًا سفن الغير، ليتوجه مع بعض رجاله إلى تونس، ويتوجه بعضهم إلى اليمن السعيد، ويخسر "فتح لاند" أو أرض فتح فى جنوب لبنان كما خسر الأردن من قبل.

وكان "ياسر عرفات" قد ركب من قبل قطار الغرور والزعامة الجوفاء، وظن نفسه قادرًا على الإطاحة بالملك السعيد "حسين ابن طلال" فحارب فى غير ميدانه، وإذا بقوات البادية تكسر ظهره، وتحطم ذراعه، ويخرجه "النميرى" وآخرون من عمان فى زى امرأة وهو ما لم يحدث لفلسطينى من قبل.

فخامة الرئيس عرفات يركب دائمًا القطارات التى لا توصل إلى المدن الآمنة، ولا يستشير أحدًا من المخلصين، مكتفيًا بمشورة "المناضل البهائى" حبيب النازيين اليهود وصديقهم الحميم، وهو الذى قاده إلى "أوسلو" التى قادته إلى المأزق الذى لا يحسد عليه الآن، وهو أن يكون خفيرًا بلا مقابل لدولة العدو النازى اليهودى، وهو ما يضطره - كما اضطره من قبل - إلى وقف الانتفاضة، وإلقاء دماء الشهداء فى مياه البحر المتوسط، أو فى حجر اليهود الغزاة المجرمين بلا ثمن ولا عائد.

ولقد قتل أزلام عرفات ثلاثة من أبناء الشعب الفلسطينى تظاهروا ضد الغزو الصليبى لأفغانستان، وأصابوا أكثر من مائتى رجل، وخرج المتحدثون باسم السلطة من ذوى الوجوه السميكة ليقولوا للعالم: يجب ألا تكون هناك قوة غير قوة السلطة أى أن الشعب الفلسطينى لا قيمة له، ولا قوة، حتى لو كان هو الذى يصنع السلطة وزعماءها، ومن ثمّ فقد سوّغت سلطة عرفات لنفسها أن تطلب من العدوّ النازى اليهودى وسائل وأسلحة لإخماد التظاهرات، والانتفاضة بالتبعية إلى هذا الحدّ وصلت الحال بالسلطة الفلسطينية لتقف من شعبها الموقف الذى يقفه العدو النازى اليهودى من هذا الشعب، بل تمادت وقامت باعتقال العشرات من الناشطين فى الجهاد إرضاء للعدو.

إن قطار الشرق الصليبى لا يقف إلا فى المحطات الدامية المليئة بالشهداء والجرحى من الأبرياء والأطفال والنساء الذين لا يجدون

حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وهذا القطار -كما تأكدت الدنيا - لا يسعى إلى العدل ولا الحرية، ولا مقاومة الإرهاب . . إنه يسعى إلى الهيمنة والسيطرة والغزو والاستعمار وسلب الثروات، ونهب الخيرات تحت دعوى مقاومة الإرهاب. . ونسى أنه هو نفسه صانع الإرهاب بمعنى الغدر والعنف.

لقد ظن عرفات أنه يستطيع أن ينتزع بعض الحقوق الفلسطينية، لو تبرع بدمائه لضحايا نيويورك، ولو أعلن انضمامه للتحالف الصليبى بكل ما يملك، ولو ضرب شعبه وأوقف انتفاضته وأطلق النار على المتظاهرين ضد ضرب شعب الأفغان البائس الفقير. ولكن الحصاد كان مرًا، فقد أعلن الرئيس "جورج بوش الابن" أن دولة العدو النازى اليهودى هى الصديق الأول لأمريكا، والصديق الأول لا يمكن إزعاجه أو التأثير عليه بطريقة تزعجه . . أمريكا تعلم أن هذا الصديق الأول يمثل ضرورة استراتيجية لها، فهو قاعدة عسكرية رخيصة التكاليف تحقق لها إخضاع العالم العربى والإسلامى، وتتيح لها الحصول على مكاسب اقتصادية وسياسية بلا حدود، لذا فهى تدعم هذه القاعدة العسكرية بكل الوسائل والأساليب، ولا تلقى بالاً لما يفعله السيد ياسر عرفات؛ لأنها تعلم أنه لا يبغى إلا القيادة والزعامة حتى لو كانت شكلية، فهى تخاطب فيه هذا الجانب فحسب . . أما الحقوق الفلسطينية فلن يكون لها مكان فى ذهن الإدارة الأمريكية وبالتالى فى ذهن النازية اليهودية.

إن أمريكا لا تعترف إلا بالقوة، وهذه القوة لا توجد إلا فى الحجر

الفلسطينى، وهذا الحجر هو الذى يشعل نار القضية الفلسطينية متأججة، لذا فإن أمريكا تسعى إلى إطفاء هذه النار عن طريق عرفات، وقد استطاعت أن تفعل ذلك أكثر من مرة إلى درجة أن صار ممكنًا القول: الهزيمة اسمها عرفات.

وأما سيل الدم الفلسطينى الذى يهرقه العدو النازى اليهودى، فإن المنطق الوحيد المجدى هو المقاومة حتى يتحقق الأمل.

لقد ظل الاحتلال النازى اليهودى يسرح ويمرح فى الضفة والقطاع، يقتل ويغتال ويحاصر، ويتيه فخرًا بقوته وإمكاناته وشجاعة جنوده، ولكن عمليات المقاومة تجعله يتراجع، ويفرض الحراسة على أفراده وجماعاته ويبحث عن الأمن.

أما الاستسلام له ولإرادته، أو انتظار نصرة أمريكا، أو تصديق تصريح وقتى يذيعه الرئيس بوش حول إقامة دولة فلسطينية بشروط العدو اليهودى، فهذا هو الضياع بعينه، والهزيمة بذاتها. وعلينا أن نتذكر دائمًا أن قطار الشرق الصليبى لا يقف إلا فى المحطات المليئة بالشهداء والجرحى والدموع.

نهر الدم اسمه: رحبعام زئيفى

تمت تصفية الإرهابى النازى اليهودى "رحبعام زئيفى" فى أحد فنادق القدس الشرقية المحتلة، فتوقف صوت من أشد الأصوات المنكرة وحشية وإجرامًا ووقاحة. كان المجرم اليهودى الذى يتولى وزارة السياحة فى الكيان النازى اليهودى على أرض فلسطين يعتنق فكرة تنظيف فلسطين من الفلسطينيين! وكان يؤمن بما يسمى "الترانسفير"، أى طرد الفلسطينيين خارج فلسطين لتتحقق نظافتها -كما يعتقد- وعلى امتداد تاريخه الإرهابى النازى فى الجيش اليهودى، كانت له صولات وجولات فى قتل الفلسطينيين وملاحقتهم، وكلما قال العرب فى فلسطين وخارجها: نريد السلام، قال الإرهابى النازى رحبعام زئيفى: لا سلام ولا كلام، بل مزيد من الإذلال والقهر للفلسطينيين والعرب جميعًا، وظل المجرم اليهودى يغلو فى سياسته النازية الإرهابية، ويتشدد، ويرى فيه حكام العصابات النازية اليهودية فى فلسطين نموذجًا لليهودى الذى يحقق أهداف الصهيونية كما ينبغى، وهو ما جعل المجرم "شارون" يصفه فى حفل تأبينه بالكنيست بأنه كان صهيونيًا أصيلاً.

هذا الصهيونى الأصيل كان معبرًا عما يجول بصدور اليهود الغزاة ونفوسهم، وكان صوته المنكر يجابه العالم بما يريده النازيون اليهود مباشرة دون لف أو دوران، كما يفعل بعض اليهود الثعالب الذين يتخفون فى ثياب الاشتراكية أو اليسار من أمثال شيمون بيريز أو

يوسى بيلين أو يوسى ساريد. . أو حتى يورى أفنيرى، هذه الثعالب الماكرة تتحدث عن السلام والحل السلمى، ولكنها تحمل فى حنايا ضلوعها أفكار "زئيفى" نفسها، وتؤمن بها إيمانًا راسخًا، بيد أنها لا تفصح عنها عملاً بتوزيع الأدوار، وإن كانوا جميعا فى تأبين "زئيفى" وتوديعه عبروا عن هذه الأفكار صراحة، وأشادوا بصاحبها القتيل.

ولا ريب أن مقتل "زئيفى" كان صدمة للإرهاب النازى اليهودى، وضربة موجعة له فى القلب، وكان مرحلة من مراحل التطور النوعى للانتفاضة المباركة، التى جعلت قادة الإرهاب النازى اليهودى على قائمة أهداف المقاومة وحرب الاستقلال، وهو ما أدى إلى تراجع البجاحة اليهودية التى كانت تتباهى دائمًا بالقوة والقدرة على حماية أفرادها كبارًا وصغارًا، ولكن مقتل "زئيفى" جعل زعماء الإرهاب النازى اليهودى يلزمون بيوتهم تحت الحراسة المشددة، ولا يغادرونها إلا فى حراسة مشددة وللضرورة القصوى.

كان ملك اليهود غير المتوج "شارون" يفاخر بقدرته على اغتيال زعماء المقاومة وكوادر الانتفاضة دون أن يعترضه أحد، أو يرد عليه أحد بالمثل، ولكن مقتل "زئيفى" كان تحولاً فى مسار الأحداث على أرض فلسطين، جعل كل شىء ممكنًا، بعد أن تصور المحتلون الغزاة أن كل شىء رهن إرادتهم ووفق مشيئتهم، ومن ثم يمكن تفسير رد الفعل الهمجى الوحشى الذى طال المدن الرئيسة فى الضفة الغربية وقرية بيت ريما، فصنع مجزرة من أكبر المجازر فى تاريخ الانتفاضة

الحالية، تشبه فى بعض جوانبها مجزرة كفر قاسم.

لقد قتل النازيون اليهود "أبو على مصطفى" أمين الجبهة الشعبية الفلسطينية، وهو يجلس فى مكتبه داخل بيته بصاروخ ينطلق من طائرة أمريكية، وأعلنوا سعادتهم باغتيال الزعيم الفلسطينى القابع فى داره دون أن يحمل مسدسًا أو حجرًا، ولم تطالبهم السلطة الفلسطينية المحدودة بتسليم القتلة ولا الطائرة، وتمادى النازيون اليهود فى قتل زعماء من حماس والجهاد الإسلامى وفتح وغيرها، ولم تستنكر ذلك واشنطن ولا عاصمة أوروبية ولا عاصمة عربية أيضًا، وعرف الناس أن "الدم العربى" رخيص للغاية، ولا يساوى شيئا. وبعد مقتل "زئيفى" تغيرت المعادلة، وعرف النازيون اليهود أن الدم اليهودى يمكن أيضًا أن يكون رخيصًا إلى حد ما، ويمكن أن يكون رخيصًا مطلقًا حين يتمكن الفلسطينيون من إقامة الحد الشرعى والوطنى على السفاحين اليهود جميعًا.

ومع أن السفاحين اليهود يملكون اليوم أسلحة ضخمة لا يملك الفلسطينيون منها شيئًا، فإن الإرادة الفلسطينية تظل أقوى بفضل الله؛ لأنها سلاح صاحب الحق الذى لا يتنازل عنه، ولا يتخاذل فى المطالبة به، مهما أقام العدو من مجازر، ومهما دمر من مبان، وجرّف من أراض، واعتقل من نشطاء، وادعى أنه أمسك بقتلة "زئيفى". الإرادة الفلسطينية الصامدة هى سر التفوق على الصواريخ والطائرات والدبابات والمدرعات والمدافع الأمريكية الصنع، اليهودية الاستعمال.

نقطة الضعف الوحيدة فى الموقف الفلسطينى تكمن فى السلطة المحدودة وأزلامها. . لقد رضخت هذه السلطة لإرادة العدو النازى اليهودى، وحظرت نشاط الجناح العسكرى للجبهة الشعبية وعدّته خارجًا على القانون، وتقوم باعتقال من وضعهم العدو النازى اليهودى على قوائم المطلوبين، ولا ندرى هل تسلمهم له وفقًا لأوامره، أم أنها سوف تستحى من شعبها المجاهد المظلوم؟

إن نهر الدم الذى تدفق عزيزًا عقب مقتل الإرهابى النازى "رحبعام زئيفى" (يسمونه غاندى، ويا لها من مفارقة)، يؤكد للسلطة الفلسطينية المحدودة ولكل الواهمين أن السلام لن يأتى على مائدة المفاوضات، ولكنه يتحقق أولاً على الأرض، عندما يتأكد العدو الظالم أنه لن يحقق الأمن أو الأمان إلا بتسليم الحقوق لأصحابها، ثم يجلس على المائدة ليتكلم عن كيفية التسليم، لا كيفية تجنيد السلطة لحراسته مجانًا، وهو يبسط سلطانه وهيمنته على الأرض ومن فيها، إن الاستسلام لوهم التفاوض بالطريقة الحالية جريمة كبرى، ولن ينتج إلا نهر الدم الذى يسمى "رحبعام زئيفى".

النفاق الإنجليزى فى الشأن الفلسطينى

مشكلة العرب المؤمنين أنهم يلدغون من الجحر الواحد مرات عديدة، ولا يسألون أنفسهم: أين الخلل؟ ولعلهم يهربون من السؤال، لأنهم متأكدون أن الخلل فيهم، والخطأ فى داخلهم، فلو كانوا مؤمنين حقًا ما لُدغوا أكثر من مرة، وما أصيبوا هذه الإصابات القاتلة التى تتكرر بين حين وآخر، وتتراكم، وتنتج مآس مروعة ومزمنة، ومع الاستسلام المخزى لأمة الإسلام فإن الأمل فى علاج الآلام والأحزان يبدو أمرًا صعبًا، بل مستحيلاً أحيانًا.

لقد باعنا الصليبيون الاستعماريون على مدى التاريخ الحديث، ومن قبله فى سوق النخاسة الدولى، بعد أن ذبحونا وقتلونا ونهبونا ونكّلوا بنا، ولم نتعلم ولم نتعظ ولم نعتبر .. كان الخداع وسيلتهم، والنفاق أسلوبهم، والغدر منهجهم، ومع ذلك صدقناهم، وسلمنا لهم، وشربنا المرار مرارًا وتكرارًا، ولم نتذكر أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ولكنه الآن يلدغ مرات ومرات.. فكيف يكون مؤمنًا؟

جاء نابليون بحملته الدموية الشريرة، وادّعى أنه يحافظ على الإسلام، ويحارب الخارجين عليه من المماليك وأتباعهم، وجاء الإنجليز ليقولوا: إنهم جاءوا لدعم السلطة الشرعية، وتأديب الخارجين عليها، وحماية دولة الخلافة من المتمردين، وفى الحرب العالمية الأولى أقنع الصليبيون المستعمرون حكام العرب المسلمين بالانفصال عن دولة الخلافة، وتمزيقها لينالوا استقلالهم، وفى

مواجهة حركات الاستقلال فى بلاد العرب والمسلمين كانت وعود وعهود من جانب الصليبيين المستعمرين لم تنفذ ولم تتحقق، وانتهت جميعًا بتمزيق العرب والمسلمين، ودق دولة العدو النازى اليهودى إسفينًا فى قلب الأمة العربية الإسلامية، يدميها ويعوق حركتها، ويضعها فى دائرة الهزيمة والهوان.

ومع كل ذلك لم يتعظ العرب والمسلمون، ويحاولون لاهثين استرضاء الصليبيين المستعمرين، ولو كان هذا الاسترضاء على حساب الدين والأخلاق والقانون، وبعض منه ما تفعله سلطة الحكم الإدارى الذاتى المحدود فى فلسطين المحتلة، فمن أجل "تونى بلير" و"شرويدر"، و"أزنار" وغيرهم تنفّذ مطالب العدو النازى اليهودى، وتأمر بوقف إطلاق النار - ولو دفاعًا عن النفس - وتعتقل المجاهدين، وتدافع عن إسكات الانتفاضة، وإيقاف العمليات الاستشهادية بحجة التعاطى مع الواقع الدولى ومستجداته، فى الوقت الذى لا يكف فيه المعتدون عن قتل الفلسطينيين، واغتيالهم، وتدمير بيوتهم، واقتلاع زروعهم وأشجارهم، وخطف من يستطيعون الوصول إليه واللحاق به.

وفى غمرة تسويق الحملة الصليبية الاستعمارية التى تقودها الولايات المتحدة لقتل الشعب الأفغانى المسكين، وإقامة القواعد على أرضه تمهيدًا للسيطرة على ما حول بحر قزوين، ونهب النفط والغاز، ثم الانطلاق لتدمير المنشآت الحيوية والنووية فى باكستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان، وربما بلاد أخرى صديقة للولايات المتحدة،

وما أسهل خلق الذرائع وصناعة الأسباب . . أقول: فى غمرة تسويق هذه الحملة، يتفضل السيد "تونى بلير" رئيس الوزراء البريطانى بزيارة المنطقة ليطلب المزيد من الدعم للحملة الصليبية الاستعمارية من الدول العربية.

ويطلق التصريح الأجوف الذى سبق إليه الرئيس الأمريكى (جورج بوش) عن الموافقة على قيام دولة فلسطينية، ولكن كيف ستكون هذه الدولة؟ هل هى بشروط السفاح اليهودى "إرييل شارون" بلا سلاح ولا حدود ولا القدس ولا سماء، ولا عودة للاجئين؟ أم بشروط العدل الناقص - أعنى قرارات الأمم المتحدة؟ السيد "بلير" وقف فى مؤتمره الصحفى مع السفاح "شارون" بالقدس المحتلة ليبكى قتلى العدو النازى اليهودى فى تل أبيب وملهى الدولفين والقدس الغربية والخضيرة.

وتحدث عن الإرهاب الفلسطينى الذى يجب أن يتوقف، ولم يتفضل السيد "بلير" بأية إشارة إلى الدبابات والطائرات التى تقتل الفلسطينيين أهل البلاد، بلا رحمة ولا شفقة، وتدمر البيوت والزروع. . وفى الوقت الذى كان السيد "بلير" يتكلم عن قتلى اليهود النازيين المستعمرين، أو قبله بقليل كانت الأباتشى الأمريكية يقودها اليهود لقتل زعماء حماس وتفجير سياراتهم وقصف بيوتهم بلا هوادة. . ومع ذلك لم يشر السيد "بلير" أدنى إشارة إلى ما يجرى. . كل ما تطوع به هو ضرورة وقف العنف -ويقصد العنف الفلسطينى طبعًا - حتى يمكن العودة للمفاوضات (ماذا تعنى

المفاوضات؟) أما حقوق الفلسطينيين فى الأمن والعودة وتقرير المصير، فلا محل لها فى حديث "بلير" ومن على شاكلته.

المفارقة أن البعض منا ربط بين حديث "بلير" الأجوف عن الدولة الفلسطينية، ووعد بلفور الذى أصدرته إنجلترا عام ١٩١٧ فى الثانى من نوفمبر، وأخلصت فى تنفيذه بكل الوسائل، ومنها خداع العرب وغشهم ومساعدة عدوهم، حتى قامت دولة العدو النازى اليهودى عام ١٩٤٨.

والمفارقة الأخرى أن الصحافة الصليبية الاستعمارية فى لندن لم تغفر للسيد "بلير" أنه زار دمشق، وسمع من الرئيس السورى "بشار الأسد" كلامًا عن "الإرهاب اليهودى" فى المؤتمر الصحفى المشترك بينهما. لقد عدت هذه الصحافة كلام "الأسد" توبيخًا للسيد "بلير" وإهانة له، ومن هذا المنطلق أدانت زيارته إلى سوريا التى تساعد الإرهاب من وجهة النظر الصليبية الاستعمارية، ويقصدون طبعًا مساعدة حزب الله والمنظمات الفلسطينية التى يستهدفها الغزاة النازيون اليهود.

إن السادة الصليبيين الإنجليز ليسوا جادين فى مساعدة الشعب الفلسطينى للحصول على حقوقه، وعودة اللاجئين منه إلى وطنهم، ولكن - كما هى طبيعتهم - ينافقون، ويعيدون تاريخهم المخادع المخاتل، كى يجرّوا الدول العربية أو بعضها للمشاركة فى الحملة الصليبية الاستعمارية على الإسلام والمسلمين، بدءًا بأفغانستان البائسة الفقيرة، ثم الانتشار إلى غيرها.

انتفضوا من أجل الانتفاضة

ظن كثير من العرب أن قطار الشرق الصليبى يمكن أن يقف فى المحط الفلسطينى، ويوصّل إلى القدس العتيقة عاصمة لفلسطين المحرّرة، وقدمت معظم الدّول العربية وقادتها خدمات سياسية وغير سياسية إلى حكومة الولايات المتحدة فى حملتها العدوانية ضد الشعب الأفغانى البائس تحت لافتة مقاومة الإرهاب، ويعلم الناس أن مقاومة الإرهاب لا تستدعى هذا الجيش العرمرم من الطائرات والأساطيل والصواريخ والقوات البرية والقوات المحمولة، فالمعنيّون أو الموسومون بالإرهاب قلة قليلة يمكن - على فرض مسئوليتها عن تفجيرات نيويورك وواشنطن - اصطيادها بطرق أخرى أكثر فعالية وأقل تكلفة، وأبعد ما تكون عن قتل المسلمين البائسين فى أفغانستان، وتشريدهم بالملايين عبر القفار والجبال والبرد والجوع، الأمر لم يعد سرًا أن العالم الصليبى بقيادة الولايات المتحدة يسعى إلى تحقيق أهداف أخرى غير القضاء على الإرهاب، فى مقدمتها احتلال قلب آسيا، والسيطرة على موارده النفطية والغاز الطبيعى، واستئصال الإسلام.

وبعد أن برح الخفاء - كما يقول المثل العربى - فإن موقف العرب يجب أن يتغيّر ويتحول لصالح العرب أنفسهم، وبخاصة الشعب الفلسطينى. صحيح أن بعض القادة الصليبيين الاستعماريين صرحوا برغبتهم فى إقامة دولة فلسطينية، ولكن هذا التصريح حبر على

ورق؛ لأنه غير جاد، ولم يعبّر عن نفسه بأية طريقة تدل على الجدية، كل ما كان كلام عائم فى كلام عائم يهدف إلى تهدئة الخواطر الإسلامية أمام قتل المسلمين وتدمير مدنهم وقراهم، وتحويلهم إلى كائنات غير آدمية تهرب من الموت فى كل اتجاه.. ثم جذب الحكومات العربية إلى التحالف الصليبى من أجل إبادة الأفغان، والتمركز على أراضيهم، وتنفيذ الخطط الاستعمارية الصليبية التى لم تعلن عن نفسها بعد، وإن بدت ملامحها فى تصريحات المسئولين الاستعماريين وكلامهم.

لقد كرر السيد "رامسفيلد" - وزير الدفاع الأمريكى - تصريحاته عن احتمال توسيع مجال الحرب لتتجاوز أفغانستان، وتطال جهات أخرى. مما يعنى أن دولاً عربية وإسلامية حليفة يمكن أن تكون هدفًا مباشرًا لضربات جوية أو غيرها، فضلاً عن الدول العربية والإسلامية غير الحليفة.

ونقلت الصحف العالمية والعربية عن جريدة "نيووركر" الأمريكية ما نشرته حول الخطة المشتركة بين القوات الأمريكية وقوات العدو اليهودى النازى للتدريب على الاستيلاء المباشر، ونقل أسلحة باكستان النووية فى حال سقوط الجنرال "برويز مشرف" واعتلاء الإسلاميين سدّة الحكم فى "إسلام آباد". مما يعنى أن العدوّ النازى اليهودى داخل فى صميم التحالف الصليبى، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة، وما إبعاد أمريكا للعدوّ النازى اليهودى عن التحالف بطريقة مباشرة إلا لفتح المجال أمام العرب لمؤازرتها وتزويدها

بالمساعدات الممكنة، وتسويغ وجودها فى شرق العالم الإسلامى للهيمنة والنّهب والقمع.

ثم إن أمريكا أعلنت مؤخرًا أن قائمة الإرهابيين المطلوبين للتأديب والتهذيب تضم حزب الله فى لبنان، ومنظمتى حماس والجهاد الإسلامى وغيرهما فى فلسطين، مما يعنى أن التصريحات التى تتحدث فى العالم الصليبى عن دولة فلسطينية كانت مجرد فرقعة إعلامية لتحقيق غايات وقتية، كما يعنى أن ضرب لبنان وسوريا وغيرهما بحجة إيواء هذه الأحزاب أو المنظمات مسألة واردة غدًا، أو بعد غد.

وقد أكد هذا الإعلان التصريح الذى أدلى به مساعد وزير الخارجية الأمريكى حين وصف المقاومة الفلسطينية بأنها إرهاب مدروس وبالطبع لم يشر هذا المسئول أو غيره من المسئولين الأمريكان إلى الدم الفلسطينى الذى تسفحه الآلة العسكرية الأمريكية التى تقودها العصابة النازية اليهودية فى فلسطين.

وأخيرًا جاء تصريح الرئيس بوش الابن مساء الأربعاء ٧-١١-٢٠٠١ بأن التحالف الصليبى سينتصر، حتى لو لم تحلّ مشكلة فلسطين، أو الشرق الأوسط كما يسميها.

كل هذا وغيره، يفرض على أمة الإسلام أن تتحرك لتغيير الموقف لصالحها وصالح الشعب الفلسطينى، وذلك أن تقول: لا لقتل الشعب الأفغانى، لا للتحالف الصليبى ضد الإسلام، لا للخداع الصليبى المستمر منذ حملة السفاح الفرنسى نابليون حتى الآن وغدًا.

لقد طالبت ماليزيا وإندونيسيا بوقف الحملة الصليبية ضد أفغانستان، ورفضت إيران ومصر والسعودية قصف المدنيين فى أفغانستان، والشعوب الإسلامية كلها ترفض الحملة الصليبية وتجلياتها الشريرة فى قلب آسيا وأفغانستان، وهى مواقف جيدة ومبشّرة، تختلف عن موقف بعض أشباه الرجال الذين يؤيّدون الصليبيين على طول الخط، مما يعنى أن بلورة موقف عربى إسلامى موحّد يقول لأمريكا وأتباعها الاستعماريين: إن تحرير فلسطين، وعودة أهلها اللاجئين، والسيادة على القدس أمر لا يقبل التأجيل، ولا ينتظر القبض على أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، وكما فصلتم تيمور الشرقية عن إندونيسيا فى غمضة عين تحت راية الصليب، لابد أن تعيدوا فلسطين إلى أهلها فى غمضة عين أيضًا تحت راية الإسلام.

أما ذلك المخلوق الذى يقال إنه وزير شئون القدس فى السلطة الإدارية المحدودة، ويروى عنه أنه طالب بنسيان قضية اللاجئين، وعودتهم إلى فلسطين، فإننا نقول له: معك حق؛ لأن من يظن أن السلطة المحدودة ستحقق آمال الفلسطينيين واهم، ويعيش فى الحلم، فالسلطة خفير نظامى لا يملك إلاّ طاعة العمدة النازى اليهودى ولو أمره بإلقاء نفسه فى البحر، ومن ثم فانتفاضة العرب والمسلمين من أجل الانتفاضة مسألة لا تقبل التأجيل.

الانتصار الصليبى.. والهزيمة الفلسطينية

انتصر الصليبيون على الشعب الأفغانى البائس الفقير، ودوت صيحات الانتصار والبهجة فى كابول مصحوبة بالموسيقى والأغانى وحلق الذقون، ورأى العالم ما فعله الإخوة الأعداء ببعضهم من قتل فورى، وتمثيل بالموتى، وتعذيب قبل القتل فى الوقت ذاته كان العالم مشغولاً عما يجرى فوق أرض فلسطين، حيث كان المجرم اليهودى "شارون" يتابع سياسة الاغتيالات بالأباتشى الأمريكية، وتزحف دباباته لتدمر بيوت الشعب الأسير، وتقصف السكان الآمنين، وتخطف منهم ما تستطيع لتضع المخطوفين فى سجونها، وتعذبهم إلى أجل غير معلوم.

وبالمثل كان رئيس السلطة الإدارية الفلسطينية المحدودة يواصل اعتقالات المجاهدين، ويقوم أزلامه بالقبض على الاستشهاديين، ومنعهم من الردّ على العدوّ النازى اليهودى أملاً فى إرضاء السيد النازى اليهودى المحتل.. ولكنه - للأسف - لا يرضى الصليبيون. بعد أكثر من ثلاثين يومًا، استطاعوا بالقصف الجوى أن يدمروا مدن أفغانستان وقراها، وأن يقتلوا أكثر من ألفين من مواطنيها الفقراء البائسين، وأن يفتحوا الباب لانتصار فريق من الإخوة الأعداء على فريق آخر، وأن يهيئوا لمذابح جديدة تتم بينهم بسبب السعى إلى حكم البلد البائس الفقير، ونسى الناس ما قيل عن مكافحة الإرهاب، والقبض على الإرهابيين، وبدأ السيد "رونالد رامسفيد"

يتحدث عن ضرب بلاد إسلامية أخرى متهمة بالإرهاب أو إيواء الإرهابيين، وهل ستكون البلد الأولى المرشحة للتدمير بأيدى الصليبيين هى الصومال أم العراق أم غيرهما؟ الله وحده أعلم، ثم القيادة الصليبية فى واشنطن، أما فلسطين فيتم تدميرها باستمرار بالآلة الصليبية والأيدى اليهودية، ويتحدى السفاح شارون إرادة الدول الخمس الدائمة فى مجلس الأمن عندما تطالبه بالانسحاب من المدن الفلسطينية التى تتولى السلطة الفلسطينية حراستها وخفارتها، وبالطبع خفت الحديث عن حل مشكلة فلسطين.

ولم يعد واردًا الكلام عن خطوات فعلية أو شكلية لإرضاء الطرف العربى الإسلامى الذى أيد العدوان الصليبى على أفغانستان تحت لافتة مقاومة الإرهاب، وتماهى مع الإدارة الصليبية فى مقولاتها وأفكارها، لدرجة أن بعض العرب والمسلمين قام بعمليات اعتقال وقبض وتسريح من الوظائف، ظنًا بأن هذا لا يرضى السادة الصليبيين، ويدفع عنهم تهمة الإرهاب أو مساعدته أو إيوائه.

مشكلة أمتنا المستباحة أنها فقدت الرشد، وظنت أن عدوها يمكن أن يتعامل معها بمنطق خلقى وقانونى، ثم إن أمتنا تؤثر دائمًا السلامة، والانسحاب من المواجهة، وتتصور أن الاعتماد على ما يسمى بالمجتمع الدولى والقانون الدولى والرأى العام الدولى يمكن أن ينتج شيئًا إيجابيًا، ويحقق تقدمًا، ويصنع سلامًا.. كما يظن فريق من أمتنا أن التنازل تلو التنازل يمكن أن يرقق من قلوب العدا، وأن يجعلهم يحنّون علينا، ويمنحوننا بعض حقوقنا.. وهذا وهم

كبير، وعبث واضح وضوح الشمس؛ لأن العدو بلا قلب أصلاً، ولأنه لا يؤمن إلا بشيء واحد.. واحد فقط.. هو القوة، وهو يتعامل مع العرب والمسلمين بمنطق القوة، ويطبق عليهم مبدأ "ويل للمهزوم"، ولأننا من وجهة نظره مهزومون عام ١٩٦٧، فهو يرى أن علينا أن نقبل ما يقول فى مقابل ما يسميه هو "تنازلات مؤلمة" البعض عندنا يغفل هذه النظرة الاستعمارية، ويعتقد بسذاجة مطلقة أن السيد الصليبى يمكن أن يضغط على السيد اليهودى، ويقنعه بالانسحاب من معظم الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وينتظر مبادرة أو إعلانًا أو بيانًا يمنح الفلسطينيين هذا الأمل، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث، بل إن البعض كان يطمح أن يصافح الرئيس الأمريكى بوش الابن رئيس السلطة الفلسطينية المحدودة فى الأمم المتحدة مجرد مصافحة، ولكنه لم يفعل، بل لم ينظر إليه مجرد نظرة، أرأيتم كيف يكون الهوان الذى يصنعه بعض العرب والمسلمين بأيديهم، لا بيد غيرهم؟

إن ما فعله عرفات لإرضاء السيد الصليبى فاق كل التصورات بدءًا من التبرع بالدم لضحايا أحداث ١١ من سبتمبر، إلى التبرؤ من دعوة أسامة بن لادن لتحرير فلسطين، ولم يجد ردّ فعل لدى السيد الصليبى، حتى بمجرد مصافحته، وحتى بمجرد النظر إليه فى لقاءات الأمم المتحدة.

إن منطق التنازل عن الحقوق، وصنع عجين الفلاحة لإرضاء السيد الصليبى وتابعه السيد النازى اليهودى يخلو من الصواب والاتزان

والالتزام؛ لأن السادة الاستعماريين يتعاملون مع الحقائق الملموسة لا القوانين المكتوبة، وإذا كانت الأخيرة تتحدث عن حقوق الفلسطينيين فى بلادهم وقدسهم، فإن الحقائق الملموسة تشير إلى انبطاح القيادة الفلسطينية إلى درجة الهوان والمذلة والتفريط، وما حديث المخلوق الذى يسمى بوزير شئون القدس، والذى كرره ثانية فى الأسبوع الماضى حول نسيان حق عودة الفلسطينيين اللاجئين وعددهم أربعة ملايين لاجئ، فى مقابل إزالة المستوطنات من الضفة والقطاع، إلا تكريس للانبطاح الفلسطينى، بل الهزيمة الفلسطينية التى تعيشها سلطة الحكم الإدارى الذاتى المحدود.

ولو أن هذه السلطة أحسنت إلى شعبها وأهلها، لأسدت إليهم جميلاً لن ينساه الناس، وهو الرحيل أو النزول عن كاهل الشعب الفلسطينى، وتركه يواجه مصيره بفطرته التى تهديه إلى الجهاد والمقاومة حتى يصرخ الغزاة النازيون اليهود، ويرحلوا عن أرض فلسطين، كما رحلوا عن أرض لبنان فهل تسدى السلطة هذا الجميل لشعبها؟

فرح المخلفون بخطاب باول

أخيرًا تفضل السيد "كولن باول" - وزير الخارجية الأمريكى - وألقى خطابه المنتظر حول القضية الفلسطينية فى جامعة "لويز فيل" بولاية كينتاكى الأمريكية. فرح المخلفون العرب أو المستسلمون العرب بالخطاب، وفرح به أيضًا المستعمرون النازيون القتلة من اليهود فى فلسطين ونيويورك على السواء. أسباب الفرحة لدى الفريقين مختلفة، وإن كان النازيون اليهود المستعمرون القتلة قد وصفوه قبل أن يلقيه صاحبه يوم الإثنين ١٠-١١-٢٠٠١ بأنه "مجرد خطاب"؛ لأنهم واثقون جيدًا أن السيد الصليبى لن يخرج عما يريدون وعما أراده لهم.

كانت أولى تجليات ردّ الفعل اليهودى على خطاب السيد باول دخول الدبابات الأمريكية التى يقودها النازيون اليهود إلى مناطق السلطة الفلسطينية المحدودة، وتدمير المزيد من بيوت المدنيين العزل، وقتل وجرح العشرات منهم، بالإضافة إلى تدمير عدد من مواقع السلطة المذكورة (هل بقى لها مواقع أخرى بعد التدمير الهائل الذى تمّ ويتم منذ أكثر من عام؟).

لم يجد السيد باول غضاضة، وهو يرى السلاح الأمريكى باليد اليهودية الغازية يقتل الشعب الفلسطينى، ويدمر بيوته وزراعاته، أن يدين الانتفاضة الفلسطينية التى تدافع بوسائلها البدائية عن نفسها، وعن وجود الشعب الفلسطينى، ولم يتورع أن يصفها أنها "انزلقت

إلى مستنقع العنف والإرهاب" وأعتقد أن شخصًا مثل هذا لا يمكن أن يكون عادلاً أو نزيهًا أو يرجى على يديه خير قليل أو كثير. لقد صار الدفاع عن الأوطان في مفهوم رئيس الدبلوماسية الأمريكية "إرهابًا"، والاحتلال واغتصاب أراضي الغير إنسانية وتحضرًا وتفوقًا، وهو ما يعني أن السادة الأمريكان وقد نصبوا من أنفسهم المدعي والقاضي والجلاد في كل مكان بالمعمورة، يرون أن الواجب يفرض على الشعب الفلسطيني الأسير أن يقبل باغتصاب أرضه وانتهاك عرضه، والقبول بالعبودية للنازيين اليهود، وإلا فهو إرهابي يجب تحطيمه وتدميره كما تمّ تحطيم الشعب الأفغاني البائس الفقير وتدميره

بالطبع، كان ظهور الصفحات القومية في صحافتنا تشيد بخطاب السيد باول، وتتحدث عن إيجابياته غير المسبوقة، وتفتش عن الكلمات الدفينة التي تنقل السياسة الأمريكية من عصر "الأراضي المتنازع عليها" إلى عصر "الأراضي المحتلة"، وما يشبه ذلك.. كان أمرًا مثيرًا للحيرة والدهشة، فأمريكا تعلم قبل غيرها أن قرارات مجلس الأمن التي صدرت بمعرفتها وموافقتها بدءًا من قرار التقسيم (١٨١) وقرار عودة اللاجئين وتعويضهم (١٩٠) حتى القرارات سيئة الذكر (٢٤٢)، (٣٣٨)، (٤٢٥)، كلها تعترف بأن أرض فلسطين ومصر وسوريا ولبنان احتلّت بالقوات النازية اليهودية، ولم تجل عن بعضها إلا بقوة السلاح والمقاومة أو الاستسلام في اتفاقيات مجحفة، بل إن السلطة الفلسطينية المحدودة دخلت إلى الضفة والقطاع (وفقًا

لأوسلو) على أساس أنها أرض محتلة، وليس متنازعًا عليها. . فأى إيجابيات فى خطاب السيد باول؟

إن رئيس الدبلوماسية الأمريكية قدم "مجرد خطاب" يدور حوله، ويتمسح به القاعدون عن الجهاد، الكارهون للمقاومة، الخائفون على مكاسبهم وامتيازاتهم ومدخراتهم، مثلما يفعل الأميون الجاهلون البسطاء حين يدورون حول الأضرحة والمقابر طمعًا فى حل مشكلاتهم، وتخفيف متاعبهم، والشفاء من أمراضهم، ولكنهم للأسف يطلبون المستحيل؛ لأن سكان الأضرحة والمقابر لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فكيف بمن يدورون حولهم؟

لا شك أن السلطة الفلسطينية فرّطت فى فلسطين، وأفرطت فى التنازلات، وأعطت للعدو النازى اليهودى فرصة جديدة كى يلتقط أنفاسه، ويجمل وجهه القبيح، ويستعيد توازنه السياسى والاقتصادى، ليس بقبول خطاب باول والإشادة به، ولكن بإخماد الانتفاضة، وقبول القتل النازى اليهودى دون الردّ عليه، أملاً فى تحقيق الوقف الكامل للمقاومة سبعة أيام، تنفيذًا لإرادة السّفاح شارون، ومن بعده السيد "كولن باول" داعمه ومؤيده إلى آخر مدى.

وللأسف الشديد فإن رئيس السلطة الفلسطينية المحدودة لم يتعلم من الماضى، ولم يتعظ من حوادثه، وينفذ رغبات مستشاره "المناضل البهائى" الذى يذوب هوى وعشقًا فى أصدقائه النازيين اليهود، ويثق

فيهم ثقة مطلقة، ويضحى لهم بكل شىء بدءًا من القدس حتى اللاجئين. ونسى الرئيس والمستشار أن مائدة المفاوضات تصنعها الوقائع على الأرض، وإذا كانت الأرض الفلسطينية مستسلمة صامتة تُضرب ولا تصرخ، تقتل ولا ترد، تُستباح ولا تقاوم، فإن الجلوس على المائدة- الحلم، يعنى شيئًا واحدًا هو الاستسلام الكامل، بطريقة رسمية. لقد أكد "باول" فى خطابه أن التاريخ والمصير والنجاح تجمعوا معًا ليفرضوا الريادة الأمريكية فى الشرق الأوسط وفى جميع أنحاء المعمورة.

ويضيف: نحن نرحب بالتحدى، ونرحب بالفرصة لإظهار قوتنا ونفوذنا لجعل العالم مكانًا أفضل لجميع بنى البشر (إلا المسلمين بالطبع). ثم قال باول: إنه لا سبيل أمام الطرفين سوى التفاوض، يا له من اختراع عبقرى للسيد باول الذى لم يتحدث أبدًا عن تنفيذ قرارات الشرعية الدولية ولا القوانين الأممية، وتحدث عن المفاوضات، ويا له من اختراع، فاعتبروا أيها المخلّفون القاعدون العاجزون.

الشيطان الأكبر.. والنازية اليهودية.. والنخبة العربية

لم أفاجأ بالموقف الأمريكى من قتل الشعب الفلسطينى الأعزل بطائرات أمريكا المقاتلة "إف ١٦" والطائرات الأباتشى والدبابات يقودها النازيون اليهود. لقد وقف الرئيس الأمريكى يؤيد القتل، ويدين رئيس السلطة الفلسطينية المحدودة الذى أخفق فى وظيفته التى عيّنوه بها ليحرس الكيان النازى اليهودى الغاصب من أية عملية مقاومة أو رفض لاحتلاله ونازيته واغتصابه لأرض فلسطين.

الخفير الفلسطينى الذى دخل إلى فلسطين المحتلة ليحمى الغزاة الغرباء المجرمين، ويقمع شعبه الأسير المحاصر، ويمنع المجاهدين الفلسطينيين من الردّ على إجرام العدو النازى اليهودى" لأنه لم يحقق ما طلبه منه الغزاة المجرمون وسادتهم الصليبيون الاستعماريون فى واشنطن ولندن" فقد حقت عليه اللعنة، وجرى وصفه وسلطته بالإرهاب، وأعلن كبير أمريكا أنه يؤيد النازية اليهودية فيما تفعله من قتل وقصف وتدمير للشعب الفلسطينى؛ لأنه دفاع عنْ النفس.

ولأن الشيطان الأكبر لم يعد يعبأ بالقانون الدولى أو الأخلاق أو المصالح أو الحلفاء، فقد كشف عن وجهه القبيح دون مواربة، وأيد النازية اليهودية فى خطواتها الإرهابية الدموية، وكرر التعبير عن ذلك وزير دفاعه "دونالد رامسفيلد" الذى تفوه بأوصاف بذيئة ضد

الفلسطينيين ورئيس سلطتهم المحدودة.

لم يقتنع الشيطان الأمريكى الأكبر بما فعله رئيس السلطة المحدودة من اعتقالات للمجاهدين، وملاحقة لهم، ومهاجمة بيوتهم، وترويع أسرهم.. كل هذا لم يعد كافيًا ليرضى الشيطان الأمريكى الأكبر عن عرفات ورجاله، لكنه بارك قصف مقره فى غزة، وتدمير طائراته الثلاث، ومدرج المطار، ثم قصف مقره فى رام اللّه، وإشعال النار فى مقار الأمن الفلسطينى ومؤسسات الحكم الذاتى المحدودة، وطالبه الشيطان الأكبر بتصفية المجاهدين الفلسطينيين ومنظماتهم تمامًا، وإلا فإن تصفيته هو هى الخطوة القادمة، ولا أدرى هل ستظهر هذه الكلمات، وهو حىّ يرزق، أم أن الشيطان الأكبر سيستجيب لرجاءات وتوسلات الأشاوس والنشامى من حكام الأمة العربية والإسلامية وأمين الجامعة العربية بالإبقاء على حياته، بوصفه المعتدل الوحيد الذى يمكن التفاهم معه للوصول إلى حلّ يرضى الشيطان والنازى معًا؟

الشيطان الأكبر لم يعد بحاجة إلى العرب والمسلمين، فقد حقق ما أراد على مدى شهرين، ودمر أفغانستان تمامًا، وقتل الآلاف من أهلها، ومارس المذابح الجماعية كما جرى فى قلعة "جانجهى" بمزار شريف حيث قتل ٨٠٠ أسير أفغانى وعربى وباكستانى وشيشانى، وهم مقيدون، بحجة التمرد، وعلى مرأى ومسمع من العالم كله قصف القلعة وذبح الأسرى، ولم يطرف له جفن، ولم يعبأ باحتجاجات بعض منظمات حقوق الإنسان.. ثم إنه أخيرًا نجح فى تشكيل حكومة أفغانية على هواه من الإخوة الأعداء.. وتربع على البساط الأفغانى

ليبدأ حصد الثمار في وسط آسيا بترولاً وغازاً طبيعيًا وثروات أخرى، ومكاسب سياسية عديدة.

ثم الاستعداد لضرب العرب ومجاهديهم: العراق والصومال وسوريا ولبنان وحزب اللّه وحماس والجهاد وغيرهم، بعد أن أعطى لنفسه الحق فى تفسير من هو الإرهابى؟ ومن هى الدولة المارقة؟ ومن هى المنظمة الإرهابية؟ وصار كل شىء متوقعًا.. وأصبح كل مسلم إرهابيًا، يمكن توجيه تهمة الإرهاب إليه، وتحليل دمه، وقتله على قارعة الطريق، وصارت دول إسلامية وعربية تضع بعض أبنائها ومؤسساتها فى خانة الإرهاب الذى تجب مقاومته، والقضاء عليه وفقًا لمنظور الشيطان الأكبر وتابعه النازى اليهودى.

وجد الشيطان الأكبر أيضًا جيشًا عظيمًا يقف خلفه، أفراده من النخبة العربية، أو النخبة المثقفة، تؤيده وتدعمه وتقف إلى جانبه، وتحارب بفكره وتصوره ورؤيته فى الصحافة العربية، والإذاعات العربية، والتلفزة العربية أرضية وفضائية، يكفيها أن تميّع المواقف القومية والإسلامية، وأن تنحرف بالقضايا الأساسية عن طبيعتها إلى قضايا فرعية وشكلية لتمكن للشيطان الأكبر وتابعه النازى اليهودى من تحقيق الأهداف الشيطانية والغايات النازية.. تأمل مثلاً الحبر الذى أراقوه للحديث عن العدوان الصليبى الأمريكى على الشعب الأفغانى بحجة مقاومة الإرهاب، والقبض على أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة. إنهم لم يقولوا أبدًا إن الشيطان الأكبر معتد، ولم يشيروا إلى أنه تفرعن، وخالف القوانين الدولية، وضرب عرض الحائط بحقوق الإنسان،

وانتهك سيادة دولة مستقلة عضو بهيئة الأمم المتحدة، واستباح لنفسه أن يكون سلطة الاتهام والقاضى والجلاد، دون أدلة أو وثائق أو أسانيد . .

إن هذه النخبة العربية التى تجلس عادة على حجر الأنظمة العربية، وتحظى بتدليلها وكرمها، انشغلت بالحديث عن الأصولية الإسلامية، وهل العدوان الأمريكى يمثل حربًا دينية أو غير دينية؟ وصبت جام غضبها على من يسمّون بالأفغان العرب، وشمتت فى قتلهم وذبحهم كالنعاج على يد الأمريكان وخدامهم فى أفغانستان، وكأنهم لم يكونوا من بنى جلدتنا، ويحملون جنسيتنا، مع أن الشهامة والمروءة والعزّة تفرض علينا أن ندافع عنهم، ونستنقذهم من أيدى الجلادين حتى لو كانوا مخطئين.

لا شك أن هناك قلة من النخبة العربية، تعرف ربّها ودينها، وتدرك المخطط الشيطانى الأمريكى فى أفغانستان وفلسطين وغيرهما، وتكتب كلمة الحق التى تظهر على استحياء فى وسائط نشر محدودة، ولكن الكثرة من هذه النخبة تتاح لها الوسائط واسعة الانتشار لتزيف الحقيقة، وتناصر الباطل، وتعمى عن الجرائم الأمريكية والصهيونية.

أما الأمم المتحدة وأمينها العام "كوفى عنان"، فقد صار أمرهما يثير الرثاء، وما بالك بأمين عام للأمم المتحدة يطلب من "عرفات" عدم حضور احتفالات جائزة نوبل؛ لأنه صار فى عيون العالم إرهابيًا، بينما المجرمون النازيون اليهود يقصفون مقراته والمدن الفلسطينية، ويقتلون الشعب الفلسطينى؟

متى يصدق عرفات ورفاقه أن الشهادة هى الحل؟

تسليح الانتفاضة.. وتسليح مصر

يتصـور الفكر الانهزامى العربى أن العـدو النازى اليهودى، ومـعه العدو الصليبى الاستعمارى يمكن أن يقبل بالسلام إذا قدمنا له شهادة معـتمدة بحسن السـير والسلوك، تتضـمن إقرارنا بعدم التـفكير فى المقاومـة أو الجهاد، والتـزامنا التام بعدم شـراء أى سلاح ذى فعـالية اللهم إلا ما كان خاصًا بالقمع والتعـذيب وقهر المعارضة، أو ما كان وسيلة لتزيين المخازن والاحتفالات، وليست له قطع غيار.

هذا التصور يغـفل حقيقة مـهمة فى تفكير العـدو النازى اليهودى والعدو الصليـبى الاستعـمارى، وهى أن استـعباد العـرب والمسلمين وإذلالهم وإخـضاعهم تمامًـا، مع نهب ثرواتهم، واسـتئصـال دينهم وعقيدتهم، وتحويلهم إلى مسـوخ شائهة وكائنات بائسة، هو الأسمى والغـاية الأمثل. لذا لا يلتـفت هذا العـدو أو ذاك إلى أية شهـادات يقدمهـا العرب والمسلمون بحسن السيـر والسلوك، ولكنه يلتفت إلى شيء واحد فقط هو مدى قدرته على تحطيم عناصر المقاومة والصمود أيا كانت، والقضاء عليها نهائيا بدءًا من السلاح حتى الفكر، وخطته فى ذلك واضحة، لا تعـوقها معاهدات، ولا تؤخرها اتفـاقيات ولا تمنعها التزامات.

وإذا كان القـضاء على الفكر المقـاوم فى البلاد العـربية يبـدو أمرًا مـحـسومًـا بالنسـبـة للعـدو النازى اليـهـودى، والعـدو الصليـبى الاستعمارى، وذلك عن طريق إقـصاء الإسلام من تصورات النخب

الحاكمة، ومن مناهج التعليم ومجالات التثقيف فى معظم أرض الإسلام، فإن العدو يسعى جاهدًا إلى تحطيم عناصر التسليح فى العالم الإسلامى، أو إفراغها من وظيفتها الأصلية، خاصة ما يتعلق بأسلحة الردع (تأمل ما جرى للعراق، وما يجرى لباكستان).

حرص العدو النازى اليهودى منذ بداية حركته لاحتلال فلسطين على حرمان الفلسطينيين والعرب من السلاح، فى الوقت الذى يسعى فيه إلى التسلح بكل وسيلة ممكنة، وهو ما أدى به إلى أن يملك القنابل النووية والصواريخ والغواصات التى يمكن أن تحمل رؤوسًا نووية، فضلاً عن الأسلحة التقليدية المتقدمة.

وظاهر العدو الصليبى الاستعمارى (خاصة أمريكا، فرنسا، إنجلترا، ألمانيا) العدو النازى اليهودى فى موقفه، فأغدق السلاح الفعال على جيش الدفاع! ومنعه عن الجيوش العربية والإسلامية أو قدمه بشروط تمنع فاعليته، أو قل تمنع استخدامه أصلاً.

بيد أن الطريف أو الغريب فى الأمر، هو قيام بعض الدول العربية بفرض الحصار على تسليح المقاومة الفلسطينية عمومًا، والانتفاضة خصوصًا. إن المسئول العربى الذى يتباهى أو يتفاخر أن قواته منعت شحنة من الأسلحة كانت فى طريقها إلى الفلسطينيين فى الضفة الغربية، يمثل حالة من الخلل الشنيع الذى أصاب عقل الأمة العربية وتفكيرها، إذ إن أبسط قواعد المنطق تقول: إن شعب فلسطين اليوم يقوم بالدفاع عن شرف الأمة المستباح، وينهض بما عجزت عنه الأنظمة العربية، وكان من الواجب أن تقوم به وفاءً لدينها، وحرصًا

على كرامتها، ودفاعًا عن عرضها وأرضها.. ولأن هذه الأنظمة التزمت الصمت غير الحكيم، أو اكتفت ببضع كلمات هنا وهناك، فقد كان الواجب يحتم عليها أن تدعم الانتفاضة بالسلاح الذى يحول دون استهتار العدو النازى اليهودى بالشعب الفلسطينى الأسير.

كان المأمول أن يتزود شعب الانتفاضة بأسلحة فعالة مثل "الكاتيوشا" أو الـ"آر بى جيه"، لترد على قصف الطائرات والدبابات والمدافع، وكان المنتظر أن يكون بأيدى المجاهدين الفلسطينيين صواريخ (استريللا) الخفيفة لتمنع "الأباتشى" من اغتيال قادة الانتفاضة والشعب الأعزل، ولكن شيئا من هذا لا يحدث، بل تقف الحكومات بالمرصاد لكل المحاولات التى تحدث هنا وهناك لدعم الشعب الأسير، وكأن حكومة العدو النازى اليهودى قد عينت بعض العرب حراسًا لها دون مقابل.

إن هذا العدو النازى اليهودى لا يأبه لما يقوله رئيس السلطة الفلسطينية المحدودة أو غيره من الالتزام بوقف إطلاق النار! أو بذل ١٠٠٪ من الجهد لعدم الرد أو مقاومة القتل النازى اليهودى، وأقرب الأمثلة على ذلك قيام "الأباتشى" الأمريكية التى يقودها نازى يهودى بقتل "محمود أبو هنود" قائد الجناح العسكرى لحماس واثنين آخرين فى سيارتهم يوم الأربعاء الماضى، واستمرار التوغل بالدبابات فى مدن السلطة المحدودة، وتدمير البيوت، وتجريف الزراعات.

إن تسليح الانتفاضة هو الفريضة الغائبة فى العقل العربى الإسلامى، وتسليح مصر هو الفريضة الممنوعة فى العقل الصهيونى.

ومع أن مصر وقعت اتفاقية صلح مع العدو النازى اليهودى، إلا أن هذا العدو الذى يملك القنابل النووية يقيم الدنيا ولا يقعدها زاعمًا أن مصر وقعت اتفاقًا مع كوريا الشمالية لشراء مجموعة صواريخ أرض- أرض، مداها ألف كيلو متر، ويقيم الدنيا ولا يقعدها لأن مصر فى سبيلها إلى توقيع صفقة عسكرية مع واشنطن فى إطار برنامج المساعدات، قيمتها أربعمائة مليون دولار. لقد نفى الرئيس مبارك خبر الصفقة الكورية، وقال "ساتر فيلد" - مساعد وزير الخارجية الأمريكى: إن الصفقة الأمريكية ليست ضد أحد، أو لا تهدد أحدًا، ولكن القتلة اليهود لا يعبأون بذلك، بل يسعون إلى أن تكون لهم السيادة العسكرية المطلقة، وأن تكون لنا - نحن العرب والمسلمين- العبودية التاريخية المطلقة.

منطق الأمور يفرض على الأمة قادة وشعوبًا أن يرفضوا العبودية، وأن يتذكروا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن حياة الغابة التى يسعى الصليبيون الاستعماريون وخدامهم النازيون اليهود لفرضها علينا مرفوضة بكل المقاييس، وأن مقاومتها فريضة واجبة. إنهم لا يؤمنون إلا بالقوة، ولا يفهمون إلا لغة القوة، وعلينا إذا أردنا أن نعيش أحرارًا كرامًا أن نأخذ بأسباب القوة، ومنها تسليح الانتفاضة، وتسليح مصر، ففى ذلك خير للعرب والمسلمين، وصناعة للسلام الحقيقى الذى يرغم الطغاة الجبناء على تنفيذ قرارات ما يسمى بالشرعية الدولية.

"خلينا" فى الحاج متولى

على صدر "الوفد" (عدد الخميس ٢٠-١٢-٢٠٠١) ظهر رسم الفنان الموهوب "عمرو عكاشة"، يحمل صورة للجامعة العربية وبداخلها وزراء الخارجية العرب يناقشون محنة الفلسطينيين على يد النازية اليهودية المجرمة.

كان الوزراء يتكلمون فى الاجتماع، وتحتدم المناقشات فيما بينهم، وعندئذ خرج صوت أحدهم ليطلب منهم الكف عن "وجع الدماغ"، ويقول لهم - وهو المهم - "خلينا فى الحاج متولى" الكاريكاتير الجيد عبَّر عن موقف الشارع العربى والإسلامى بكل بساطة، وهو موقف يرى أن الأمل فى وزراء الخارجية بل والحكومات العربية مفقود تماما، لذا فالوزير الذى يؤثر النقاش حول الحاج متولى، كان صادقًا مع نفسه ومع زملائه ومع حكوماته المسكينة.

الحاج متولى، استحوذ على اهتمام الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج، وخصصت له الفضائيات العربية مساحات زمنية عريضة لتناقشه أو ترجُمه أو تلعنه أو تباركه؛ لأنه أثار موضوعًا استراتيجيًا خطيرًا يستحق التأهب والاحتشاد وهو الزواج من أربع، أما قتل الفلسطينيين وتجويعهم وحصارهم وتحديد إقامة رئيسهم، ومنعه من السفر إلى الخارج أو حتى بيت لحم لحضور احتفالات عيد الميلاد، فهو موضوع ثانوى، لا يستحق اهتمام الوزراء ولا

الشارع معًا.

قبيل منتصف الليل، الجمعة ٢١-١٢، انطلقت فى عز البرد قطعان العاطلين وأشباههم فى قريتى تدق الطبول والدفوف فى مظاهرة صاخبة، استيقظت من نومى فزعًا، ودثرت نفسى بأغطية ثقيلة لأرى الأمر الجلل الذى جرى فى القرية الوادعة، فعلمت أن الفريق الكروى للنادى الأهلى المصرى قد حاز كأس البطولة الإفريقية فى كرة القدم، كما حصل على مليون دولار مكافأة له، وكنت قد قرأت فى صباح اليوم نفسه عنوانًا غريباً على صفحة كاملة من صحيفة مصرية عريقة يقول : "الأهلى يمثل أحلام المصريين أمام "صن داونز" فى نهائى إفريقيا الـ٣٧" المظاهرات من أجل مباراة، وأحلام المصريين تتجسد فى مباراة يا للمفارقة!

من المحيط إلى الخليج لا تخرج مظاهرة واحدة - أو قل لا تستطيع أن تخرج - من أجل الفلسطينيين الذين يموتون يوميًا، ولكن المظاهرات تعم أرجاء مصر من أجل مباراة، ولا يعترضها أحد، ولا يوقفها أحد. الصهيونى "مارتن اندك" سفيّر الشيطان الأكبر فى الكيان النازى اليهودى سابقًا قام بعملية حصر لجميع المظاهرات التى قامت فى أرجاء العالم الإسلامى من أجل الفلسطينيين والأفغان المظلومين، فرأى أن عددها لا يتجاوز عدد أصابع اليدين، ومعظمها محدود ولا قيمة له، ومن ثم فإن ما تفعله الولايات المتحدة والكيان النازى اليهودى بالمسلمين والفلسطينيين مقبول عربيًا وإسلاميًا، ولا غضاضة فيه، مهما كان

بشعًا ووحشيًا ومستفزاً.

كنت أتصور أن أحلام المصريين والعرب والمسلمين، تتجاوز الفوز فى مباراة كرة قدم إلى شىء آخر، أكبر من ذلك قليلاً.. مثل توفير القمح بدلاً من استيراده، سد العجز فى الموازنة، تسديد الديون الأجنبية والمحلية، انخفاض سعر الدولار بالنسبة للجنيه المصرى والعملات العربية والإسلامية، تشغيل قطعان العاطلين، استصلاح الأراضى الشاسعة القابلة للزراعة، حل مشكلات الإسكان والازدحام السكانى بطريقة إيجابية، وليس عن طريق تحديد النسل، إصلاح أحوال التعليم والصحة والزراعة والطرق والمواصلات.. إلخ. ولكن الحلم المصرى العربى الإسلامى هبط إلى مجرد الفوز فى مباراة كرة قدم.

ولم يختلف حلم وزراء الخارجية بعد المناقشات العاصفة - كما يسميها عمرو موسى أمين الجامعة العربية - أو الخلافات الزاعقة - كما يعرفها الناس - عن حلم الفوز فى مباراة كرة قدم، لقد خرج سيادة الأمين يتلو البيان الختامي لمؤتمر وزراء الخارجية العرب، وكان يعانى تمزقًا - أحسست به - بين ما ينبغى أن يكون عليه موقف الوزراء وما توصلوا إليه فى بيانهم - الحلم.

قال عمرو موسى: "لن نشجب ولن ندين، لقد قررنا أن نواجه الأحداث بمواقف عملية"، وقد صدق فى الجزء الأول من العبارة فلم يشجب ولم يدن، أما المواقف العملية ففيها نظر.

واضحك معى حين يطالب الوزراء العرب شعوب الأمة العربية

بعدم التعاون مع الكيان النازى اليهودى فى فلسطين المحتلة، ومقاطعة البضائع الصهيونية خاصة من إنتاج المستعمرات.

أعلم أنه الضحك الذى يصنعه البكاء أحيانًا. وأسأل الأمين العام: هل الشعوب العربية تملك من أمرها شيئًا؟

وهل ذهبت هذه الشعوب إلى الكيان الصهيونى، وتعاونت معه، أو طلبت التعاون معه؟ إن السيد الأمين يعلم أن الذين ذهبوا إلى كيان الإجرام والتوحش هم السادة الحكام العرب، والذين تعاونوا مع هذا الكيان وقهروا شعوب الأمة من أجله هم السادة الحكام العرب، والذين اعترفوا به، وأضفوا عليه الشرعية، واستجدوا الجلوس معه هم السادة الحكام العرب.

لماذا يوجه الأشاوس والنشامى وزراء الخارجية هذا النداء إلى الشعوب، وليس إلى الحكومات؟ بل لماذا لا يوجهونه إلى أنفسهم أولاً؟

ثم ما معنى مقاطعة البضائع الصهيونية خاصة من إنتاج المستعمرات؟ إن الحكومات العربية تعلم جيدًا أن حكومة العدو تغلق الحدود فى وجه المساعدات العربية للشعب الفلسطينى، فلماذا لا تغلق الحكومات العربية حدودها فى وجه بضائع العدو، وتريح وتستريح؟ ثم ما حكاية "المستعمرات خاصة"؟

هل يمكن أن يكون إنتاج الأرض المحتلة داخل الخط الأخضر مقبولاً؟ وهل هذا نوع من إضفاء الشرعية على احتلال فلسطين قبل ١٩٤٨ مع عدم عودة اللاجئين والمشردين؟

إن بيان الوزراء الختامي يدعو إلى إرسال مراقبين دوليين فورًا إلى الأراضى المحتلة، ولا أدرى من الذى سيستجيب لهم، وينفذ رغبتهم. إنى أدرك مدى الحرج الذى استشعره الأمين العام للجامعة العربية أمام غضب إحدى الصحفيات وهى تسائله فى المؤتمر الصحفى الذى كان يتلو فيه البيان الختامى للوزراء عما ينبغى فعله تجاه الوحشية النازية اليهودية. . لقد اكتفى الأمين بمشاطرة الصحفية مشاعرها، لأنه لا يملك غير ذلك.

وعندما أقلب البصر وأرى الإمكانات الهائلة للأمة العربية، وأفكر لماذا لا تستخدم الأمة العربية هذه الإمكانات؟ ولماذا لا تطلق سراح شعوبها لتعمل وتنتج وتجاهد؟ أعود إلى رسم الكاريكاتير الذى تصدر "الوفد" بريشة الموهوب "عمرو عكاشة" وأقول: "خلينا فى الحاج متولى". ولله الأمر من قبل ومن بعد.

فهرس الموضوعات


صدر حديثا من:
سلسلة كتاب القدس
(١) الخطر يتهدد بيت المقدس أ.د. أحمد صدقي الدجاني
(٢) القدس قضية أمة أ.د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين
(٣) أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني أ.د. جابر قميحة
(٤) أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي أ.د. محمد جلاء إدريس
(٥) حرب تكنولوجية لقمع الانتفاضة أ.د. وجدى عبد الفتاح سواحل
(٦) مدن فلسطينية أ. فيصل الخيرى
(٧) القدس بين الانتفاض والتفاوض أ.د. محمد خالد الأزعر
(٨) انتفاضة الإنترنت أ.د. وجدى عبد الفتاح سواحل
من الجهاد المسلح إلى الجهاد الإلكتروني
ثمن النسخة فى مصر ٥ جنيهات شاملة أجور البريد.
ثمن النسخة فى البلاد العربية ٣ دولارات شاملة أجور البريد.
ثمن النسخة فى باقى دول العالم ٥ دولارات شاملة أجور البريد.
الناشر: مركز الإعلام العربى
ص.ب ٩٣ الهرم - الجيزة - مصر ت: ٣٨٣٣٣٦١١ ت / ف: ٣٨٥١٧٥١
البريد الإلكترونى E.Mail:media-c@ie.com.
موقع المركز على الإنترنت www.Resalah4u.com
حساب رقم (٤٨٧٨١) المصرف الإسلامى الدولى للاستثمار والتنمية - القاهرة.
أو حساب رقم (٤٠٣٧١) بنك القاهرة - فرع الهرم - الوحدة الفيصلية.

هذا الكتاب

محاولة متواضعة لمتابعة الانتفاضة في مسيرتها الظافرة، تعتمد على مناقشة ما يجري على الساحة الفلسطينية من خلال تحليل يعالج الوقائع، ويطرح التصور الإسلامي في مواجهة الوحشية النازية اليهودية التي فاقت وحشيتها ما قامت به النازية الصليبية في ألمانيا وغيرها.

ويتأكد من خلال الكتاب أن الشهادة هي الحل، وهي الطريق لتحرير الأرض والمقدسات في فلسطين، وأن الصمت والرضوخ والرضا بالوعود الاستعمارية الدولية، والجلوس على موائد المفاوضات العقيمة .. هو قبول بضياع الأرض والعرض، وتسليم للعدو بما يريد ويحب.

إن الشعب الفلسطيني البطل يستحق من كل صاحب ضمير حي المساندة والمؤازرة، بعد أن تكشفت طبيعة الغزاة المجرمين، وداعميهم من الطغاة المستعمرين.



ت: 3833361(00202) - ف: 3851751(00202)
ت: 3844422(00202) - 7445455(00202)
ص.ب 93 الهرم - الجيزة - مصر